التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 189 السنة 21 - أغسطس 2023

مجلس النوّاب أمام امتحان آخر 06

لماذا يبقى الناس فقراء؟ 25-24

حول الأهمية المعاصرة لكتاب «في سخالين» لتشيخوف 37-36

موقفنا

سيرة مناضل وتاريخ وطن

لن نجد أبلغ وأدقّ تعبير في وصف حياة الفقيد الغالي أحمد الشملان من العبارة التي اختارتها زوجته ورفيقة دربه الأستاذة فوزية مطر لكتابها الذي وثّقت فيه حياته ومسيرته الكفاحية: «سيرة مناضل وتاريخ وطن».

المناضلون من أجل حرية وطننا وسعادة شعبنا وحقه في الحياة الحرة الكريمة كثيرون ومن أجيال مختلفة، لكن أحمد الشملان بالذات كان حاضراً في قلب النضال الوطني والطبقي على مدار أكثر من ستة عقود متواصلة، ودون انقطاع، منذ ستينيات القرن الماضي حتى رحيله عنا قبل شهر، في قلب كل التحولات التي عرفها وطننا لا من موقع المراقب، وإنما من موقع المشاركة الفعّالة في نضال الشعب والمجتمع من أجل الأهداف النبيلة التي كرّس حياته من أجلها، ولم يحل مرضه الذي شلّ جزءاً مهماً من طاقته، دون استمرار حضوره في المشهد السياسي. لم يغب أو ينكفأ، بل ظلّ حاضراً بكامل مهابته ومكانته النضالية الرمزية التي هي فخر لكل الأجيال.

سيرة أحمد الشملان هي بالفعل تاريخ الوطن في مرحلة تجاوزت السبعين عاماً، عاشها وهو يناضل ويقارع الظلم وينشد الحرية والديمقراطية، ومن أجل ذلك يقدّم التضحيات، دون أن تهون إرادته أو تضعف، فهو كان في قلب انتفاضة مارس 1965 ضد السيطرة الاستعمارية البريطانية ومن أجل حقوق الشعب، بصفته أحد أبرز قادتها، وكان في قلب نضال الحركتين الوطنية والعمالية في السبعينات من أجل الديمقراطية وحرية العمل النقابي وانتزاع حقوق الطبقة العاملة وكل الكادحين، وإنشاء دولة مستقلة حديثة تؤمن المشاركة السياسية لمواطنيها، وكان حاضراً، في مقدمة الصفوف، في النضال ضد القمع والاستبداد وقيود قانون أمن الدولة في الثمانينات، وكان أحد الوجوه القيادية في التحرك الدستوري في التسعينات من أجل اعادة الحياة البرلمانية، وإلغاء القوانين المقيدة للحريات، واطلاق سراح معتقلي وسجناء الرأي وعودة المنفيين.

وفي كل حقبة من هذه الحقب دفع أبوخالد ضريبة موقفه بكل شجاعة، باعتقاله مرات عديدة ولسنوات طويلة، ناهيك عن السنوات التي قضاها في المنفى، وكان آخر اعتقال له في التسعينات، ورغم تبرئته بعد محاكمته، استمرت اجراءات التضييق البوليسية ضده بعد اطلاق سراحه، ومنع من السفر، ما عرضه لجلطة في القلب أولاً، وأخرى في الدماغ أفقدته القدرة على النطق.

بعد الانفراج السياسي الذي تحقق في مطلع الألفية الجديدة، كثمرة من ثمرات كفاح شعبنا وتضحيات مناضليه، وأبو خالد في مقدمتهم، بقي أحمد الشملان حاضراً من موقعه القيادي في المنبر التقدمي.

إنها فعلاً سيرة مناضل وتاريخ وطن.

التقدمي

التقدمي يستقبل المعزين في رحيل رئيسه الفخري

مساء الرابع والخامس من يوليو الماضي استقبل المنبر التقدمي في مقره، المعزين بوفاة رئيسه الفخري المناضل أحمد الشملان، حيث توافدت العديد من الشخصيات الوطنية من مختلف أطياف المجتمع البحريني، من قادة ورموز الجمعيات والتيارات السياسية وممثلي مؤسسات المجتمع المدني والشخصيات المستقلة ومن المواطنين، وقد سجل المعزون في سجل التعازي كلمات الوفاء والتقدير لذكرى الفقيد العزيز ونضاله وتضحياته، واستذكروا محطات نضاله الحافلة.

وكان في استقبال المعزين الأمين العام للتقدمي الرفيق عادل متروك وأعضاء المكتب السياسي ووجوه بارزة من قيادات التقدمي، كما شارك في الاستقبال نجل الفقيد المهندس خالد الشملان.

التقدمي يدين مجزرة للكيان الصهيوني في جنين

شدد المنبر التقدمي على دور الجامعة العربية والبلدان والعربية والإسلامية في تحمل مسؤولياتها الأخلاقية والإنسانية وتقديم الدعم المساندة للشعب الفلسطيني، إثر ما تعرضت له مدينة جنين لعدوان فاشي عنصري من قوات الاحتلال الصهيوني من الجو والبرن استخدمت فيه كل أنواع الأسلحة ضد كوكبة من المقاومين الشجعان الفلسطينيين الذين تصدوا وببسالة وإرادة تحدي وصمود في وجه ذلك العدوان البربري الإجرامي واستشهد تسعة من أبناء جنين البطلة وهناك عشرات الجرحى، حيث منعت قوات الاحتلال الصهيوني دخول أو خروج طواقم الإسعاف الفلسطيني لإنقاذ المصابين من الجرحى. كما طالب المنبر التقدمي من المجتمع الدولي ممثلاً بالأمم المتحدة بإدانة العدوان العسكري الصهيوني وتنفيذ قراراتها تجاه الكيان الصهيوني، وعلى الدول الخليجية والعربية المطبعة بأن تتوقف عن سياسة التطبيع وتقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني وإعادة السفراء لبلدانهم وأن تقف مع شعوبها التي ترفض التطبيع وتدين الاعتداءات الصهيونية المتكررة على الشعب الفلسطيني الشقيق، وأن الحل السياسي هو بزوال الاحتلال الصهيوني من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة وقيام الدولة الفلسطينية الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

جمعيات سياسية تندد بحرق القرآن الكريم في السويد

نددت جمعيات سياسية وجمعيات المجتمع المدني بموافقة وسماح الحكومة السويدية لأحد المتطرفين بحرق نسخة من القرآن الكريم خارج أحد المساجد باستوكهولم، في تصرف همجي ينم عن حقد وكراهية وعنصرية بغيضة وذلك بالتزامن مع احتفال أكثر من ملياري مسلم في شتى أنحاء العالم بعيد الأضحى المبارك.

وأكدت جمعيات (المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، الأصالة الإسلامية، التربية الإسلامية، الإصلاح، الهداية الإسلامية، الصف الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، الوسط العربي الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري جود) على أن: «السماح بمثل هذه الأعمال الإجرامية تحت مسمى، حرية التعبير، ما هو إلا استفزازاً لمشاعر المسلمين في جميع أنحاء العالم وتحريضاً على الكراهية والعنصرية وهو لا يمت بصلة لحرية الرأي والتعبير ولا يليق بدولة تدعي التحضر والحرص على التعايش».

ودعت الجمعيات الموقعة على البيان: «الحكومات العربية والإسلامية إلى ضرورة اتخاذ مواقف واضحة ومتشددة وموحدة تجاه تلك الانتهاكات المتطرفة والمتكررة تجاه المقدسات الإسلامية»، وثمنت الجمعيات إدانة وزارة الخارجية البحرينية لهذا الفعل الفاحش فإنها تطالب الحكومة البحرينية باتخاذ موقف أكثر حسماً وحزماً وبما يعبر عن الموقف الشعبي الغاضب ضد الإساءة للقرآن الكريم.

كما دعت المجتمع الدولي والمؤسسات الدينية والمنظمات العربية والإسلامية إلى تحمل مسؤولياتها والتصدي لحملات التحريض على الكراهية والتمييز ضد الإسلام والمسلمين والعمل على محاكمة ومعاقبة كل من يقومون بها من أجل إخماد فتنة يراد لها أن تنال من روح التعايش السلمي بين شعوب العالم.

وحذرت الجمعيات البحرينية من تبعات ومآلات مثل هذه الأعمال الإجرامية التي تنمي الكراهية والغضب وتؤجج مشاعر التمييز والعنصرية في الوقت الذي يحتاج العالم إلى التهدئة والتعايش السلمي بعدما شهد وما يزال العديد من الأزمات والحروب.

فضفضة

الحاضر دوماً

عيسى الدرازي

ما يسترعي انتباهك في اللحظة التي تلتقي فيه «بو خالد»، هي تلك الابتسامة التي لا تفارق محيّاه، رغم أمواج العمر ورياح النضال العاتية التي لا يمكن أن تتخطاها العين على بقية ملامحه.

لم ننل الفرصة للاستماع إلى حواريات المناضل الصلد أحمد الشملان في صولاته عبر الإذاعات العربية والأجنبية فترة التسعينات، ولكنه عرفنا على «ملكة باربار» وأهدانا «زنابق العشق» وفتح لنا «ملفات الجزيرة العاشقة»، أما سياسياً، قرع لنا «أجراس الأمل» لتكون مفاتيح إجابات على أسئلة جيلنا وأجيال لاحقة.

لست في وارد لسرد مناقب شخصية وطنية كأحمد الشملان، فلست ممن عاصروا فترة نضاله ولست ممن عايش سنوات الحديد والنار معه ورفاقه، ورغم ذلك، نجد أن الشملان موجود وحاضر دوماً فينا، عناداً للعارض الصحي الذي رافقه خلال العقدين الأخيرين. إحدى تلك الذكريات التي لا أنساها أبداً كلما صادفت «بو خالد» في فعالية ما، كانت في أحد مؤتمرات المنبر التقدمي، وكان النشاط الحزبي متوقداً والجميع كان يحاول اللحاق بالقطار السياسي في تلك الفترة من تاريخ البلد، وبسبب اختلاف وجهات النظر بين فريقين من أعضاء المؤتمر احتدم النقاش وأخذ في الاحتدام أكثر وأكثر حينها بدأت ملامح الشملان بالامتعاض، قبل ان يطلب الكلام من رئيس المؤتمر ويوجه كلماته التي أعادت الجميع تحت جناحيّ طائر التقدمي.

أحمد الشملان وبقية مناضلي التقدمي وهذا الوطن، لا يجب أن يكون ذكرهم على مستوى رفاقهم وأحزابهم فقط، هم كانوا يبذلون العطاء لكل الوطن، ولذا فإن الإعتراف الرسمي بعطائهم سواء السياسي أو الأدبي أو الفني هو اعتراف بتاريخ حافل لهذا البلد الذي تزينه عقود من لآلئ وطنية أعطت عمرها فداءاً «لوطنٍ حر وشعب سعيد».

مؤتمر البطالة : ضرورة إحلال البحرينيين بالوظائف التي تفوق 1000 دينار ويشغلها أجانب

ناقشت تنسيقية الجمعيات السياسية مشكلة البطالة وتحديات البحرين في البحرين وسبل معالجتها، بمشاركة 8 جمعيات سياسية: تجمع الوحدة الوطنية، المنبر الوطني الإسلامي، المنبر التقدمي، الوسط العربي الإسلامي، الصف الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري، التجمع القومي الديمقراطي، التجمع الوطني الوحدوي، وبحضور عدد من أعضاء مجلسي الشورى والنواب وعدد من الخبراء والمتخصصين ممثلين عن جمعيات المجتمع المدني.

واستعرض المتحدثون في "مؤتمر البطالة وتحديات البحرنة" 8 أوراق علمية خلال 3 جلسات تناولت جذور وأسباب مشكلة البطالة، والواقع الحالي لمشكلة البطالة والبحرنة، ومن ثم مناقشة الحلول الممكنة والمقترحة لمعالجة البطالة.

من جهته طالب رئيس جمعية تجمع الوحدة الوطنية عبدالله الحويحي، الحكومة والسلطة التشريعية بتطبيق معاني النصوص الدستورية على أرض الواقع وتحقيق العدالة الاجتماعية للمواطن البحريني على مستوى الحقوق الأساسية، وفي مقدمتها حق العمل من خلال مراجعة الاختلالات في ملف التوظيف وبحرنة الوظائف باتخاذ المزيد من القرارات التي تجعل المواطن البحريني هو الخيار الأول في سوق العمل لدى القطاعين العام والخاص مع توفير الشواغر الملائمة لكافة الخريجين، إضافة إلى الحاجة لمراجعة فلسفة التعليم والتدريب حتى تتناسب مع احتياجات سوق العمل.

إلى ذلك استعرض الناشط السياسي محمد الكويتي تاريخ البطالة والحلول التي تمت تجربتها، وترى ورقة الكويتي التي جاءت بعنوان "البطالة المستعصية" أن أحد أسباب البطالة هو الاعتماد على العمالة الوافدة والزيادة السكانية مع عدم وضع قيود على توظيف العمالة الأجنبية، يكمن وراء ذلك عقيدة أيديولوجية "الليبرالية الجديدة"، إضافة إلى عدم ربط الحلول بمصلحة أرباب العمل، وتناولت الورقة معالجة شمولية تتناول مختلف الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والمؤسسية على المدى القصير والمتوسط والطويل مع وضع أولويات محددة تتمثل في سياسة الإحلال عبر تأهيل البحريني حتى يحل محل الأجنبي، بناء على تحليل العرض والطلب والأخذ في الاعتبار متطلبات ومصلحة أرباب العمل.

وتناولت ورقة الخبير الاقتصادي أكبر جعفري التي كانت بعنوان "نحو المواطن المقتدر" كيفية تمكين المواطن للوصول إلى الوظائف ذات الرواتب العالمية، ومزاحمة الأجانب للكوادر الوطنية، والتوازن بين تواجد الأجانب والفرص المتاحة للمواطنين والتعليم التطبيقي والتدريب الميداني المبكر.

بدره استعرض نائب الأمين العام للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين حسن الحلواجي ورقة علمية بعنوان "البحرنة قرار" ركز فيها على رؤية الاتحاد العام بإحلال بحرينيين في الوظائف التي تفوق أجورها 1000 دينار والتي تشغلها عمالة وافدة.

وفي سياق متصل استعرض النائب السابق سيد فلاح هاشم في ورقة بعنوان، "دور التعاونيات في التنمية والحد من مشكلة البطالة"، للتغلب على ظاهرة البطالة المتنامية التي أقرت الحكومة طوال العقدين الماضيين العديد من البرامج والمبادرات في سبيل توليد فرص العمل والتشغيل وتنمية دخل المواطنين، لافتاً إلى ان البرامج والمبادرات ظلت محدودة خاصة مع توجه الدولة لتقليص دور القطاع العام وبقي القطاع الخاص معتمداً على العمالة الأجنبية، رغم كل ما يقدم له من دعم عبر برامج صندوق العمل "تمكين".

وفي ورقة قدمها النائب السابق إبراهيم بوصندل بعنوان "حلول واقعية لمشكلة البطالة في البحرين"، أشار فيها إلى ان البطالة أصبحت مشكلة يعاني منها الناس وتفاقمت بسبب المعالجات غير الناجحة لتصبح ظاهرة مقلقة للأسرة والخريجين، بل وللمقبلين على الدراسة الجامعية فضلاً عن خريجي المرحلة الثانوية وما دونها.

وقال بوصندل إن البطالة مشكلة مستمرة ومتجددة، فهي بحاجة إلى نوعين من المعالجة، الأولى آنية التوظيف لأعداد كبيرة من العاطلين عن العمل، والثانية وضع حلول مستدامة لاستيعاب الأعداد المقبلة على سوق العمل سنوياً.

«البلاد» – 8 يوليو 2023

متجر كبير لبيع الإلكترونيات لم يدفع رواتب العاملين لأكثر من 4 أشهر

أكد الاتحاد الحر لنقابات عمال البحرين أنه أجرى العديد من المفاوضات مع أحد مراكز الإلكترونيات الكبرى لبحث قضية تأخر رواتب 39 موظفاً وعاملاً من مختلفة الجنسيات، لكن من دون جدوى.

وأشار نائب رئيس الاتحاد الحر لعلاقات العمل والشكاوى والتشريع أحمد فقيهي إلى أن الاتحاد تلقى شكاوى من 39 عاملاً وموظفاً من جنسيات مختلفة يعملون لدى متجر الإلكترونيات المعروف، أكدوا فيها عدم تلقيهم الرواتب لفترة تجاوزت 4 أشهر دون مبرر لذلك.

وأوضح أن الاتحاد الحر قام بالتواصل مع المسؤولين في المؤسسة للوصول إلى حلول توافقية، وحصل على وعود بإنهاء المشكلة وتسوية كافة الأمور العالقة بالنسبة للعمال، إلا أن الأمور لم تشهد أي تحرك.

وطالب نائب رئيس الاتحاد الحُر وزارة العمل وهيئة تنظيم سوق العمل بسرعة اتخاذ إجراءاتهم لحماية أجور العاملين ومستحقاتهم المتأخرة والعمل على سرعة صرفها لهم وتوفير تذاكر العودة لبلادهم أو السماح لهم بالانتقال إلى وظائف أخرى حال توفر فرص لأي منهم.

«البلاد» – 16 يوليو 2023

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

محامية تُصدم بتسريحها من العمل في إجازة زواجها

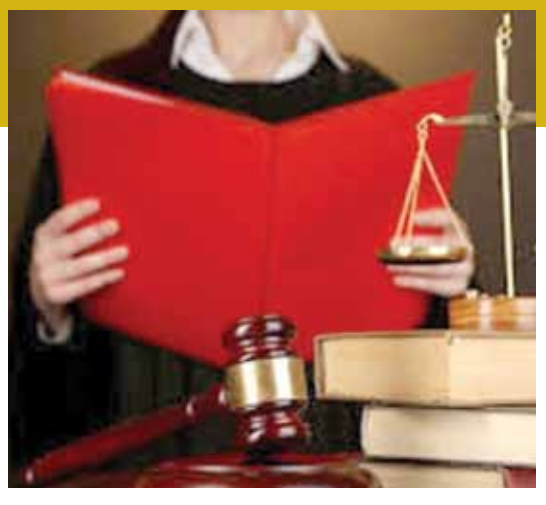

بعد 8 أشهر من العمل في مكتب محاماة قررت محامية الخروج بإجازة زواج، على أن تعاود العمل في المكتب الذي كانت تعمل فيه، إلا أنها تفاجأت بفصلها تعسفيًا عن العمل، في الوقت الذي ألزمت المحكمة العمالية مكتب المحاماة بأن يؤدي للمحامية مبلغ 675 دينارًا تعويضًا عن الإنهاء غير المشروع لعقد العمل، وإصدار شهادة خدمة عن فترة عملها التي استمرت 8 أشهر فقط والفائدة القانونية بواقع 1٪ حتى السداد التام.

وعن تفاصيل الدعوى قالت محامية المدعية زهور السيد بأن موكلتها التحقت بالعمل لدى مكتب محام بتاريخ الأول من ديسمبر 2019 لقاء أجر شهري يبلغ 450 دينارًا، وبتاريخ 2020/8/1 أخطر المدعى عليه المدعية بإنهاء خدماتها من العمل على أن يكون آخر يوم عمل لها بتاريخ 2020/8/30، وذلك دون مبرر مشروع (وكان ذلك في الوقت الذي خرجت فيه بإجازة للزواج)، وقد سدّد نصف راتب شهر ديسمبر 2019 بمبلغ وقدره 255 دينارًا وتخلف عن سداد المتبقي بقيمة 195 دينارًا، بالإضافة إلى سداد أجر شهر يوليو 2020 بمبلغ 388 دينارًا، وعمولة بنسبة 30٪ على موكل جلبته للمكتب، وذلك بإجمالي 120 دينارًا.

المدعى عليه «المحامي» برفض الدعوى لعدم قيامها على أساس من القانون، فيما شهد أحد شهود المدعى عليه بأنه عرض عليها تخفيض راتبها بسبب ظروف جائحة كورونا ولم توافق، وطلب توجيه اليمين الحاسمة للمدعية بأنها قد بدأت العمل لديه من يوم توقيع العقد، فقامت بحلف اليمين.

وذكرت المحكمة بأن أوراق الدعوى خلت مما يثبت الظروف والخسائر التي لحقت بالمدعى عليه ودفعته إلى تقليص حجم النشاط، وتخلص إلى أن الأخير قد أنهى عقد العمل دون مبرر بعد ثلاثة أشهر من بدئه، وتستحق المدعية معه تعويضًا بما يعادل أجر يومين عن كل شهر من الخدمة وبما لا يقل عن أجر شهر ولا يزيد على أجر اثني عشر شهرًا.

«الأيام» – 2 يوليو 2023

مجلس النوّاب أمام امتحان آخر

المراسيم بقوانين (مراسيم الضرورة) هي مراسيم لها قوة القانون تصدرها السلطة التنفيذية، في غياب السلطة التشريعية، فيما بين أدوار انعقاد مجلسي النواب والشورى، أو بعد انتهاء الفصل التشريعي أو في فترة حله، لتسد فراغاً تشريعياً عندما تدعو الضرورة إلى تدخل تشريعي لتنظيم موضوع من الموضوعات التي لا تنظم بأداة أدنى من القانون، وذلك إعمالاً لأحكام المادة (٣٨) من الدستور التي وصفت الضرورة بإنها ما يوجب الإسراع باتخاذ تدابير لا تحتمل التأخير، ولا تكون هذه السلطة مقيّدة في إصدارها إلا بقيدين أساسيين، هما قيام حالة الضرورة وعدم مخالفة أحكام الدستور.

حسن إسماعيل

وأوجبت المادة المذكورة من الدستور عرض هذه المراسيم على كل من مجلس الشورى ومجلس النواب خلال شهر من تاريخ صدروها إذا كان المجلسان قائمين، أو خلال شهر من أول اجتماع لكل من المجلسين الجديدين في حالة الحل أو انتهاء الفصل التشريعي.

ولعل ما يميز هذه المراسيم بقوانين عن مشروعات القوانين بأن لها قوة القانون، أي تكون سارية المفعول ملزمة للكافة، ويزال مالها من قوة القانون في حالتين؛ الأولى إذا لم تعرضها الحكومة خلال المدة التي أشرنا إليها والثانية إذا عرضتها ولم يقرّها المجلسان.

كما أن لهذه المراسيم بقوانين حسب نصوص اللائحة الداخلية حق امتياز بأن لها في المجلس وفي اللجان الأولوية على أية أعمال أخرى، ولا يجوز التقدّم بأية اقتراحات بالتعديل في نصوص أي مرسوم بقانون، ويصوّت المجلس على هذه المراسيم بالموافقة أو بالرفض ويصدر قرار المجلس بعدم إقرار المرسوم بقانون بأغلبية أعضاء المجلس مادة (124).

إن المراسيم بقوانين التي أصدرتها الحكومة قبل انعقاد أول اجتماع للمجلس الوطني في 2002، أو تلك التي أصدرتها طوال الفصول التشريعية لهذا المجلس كثيرة وتوسعت فيها رغم أنها استثناء من الأصل، يتعذر حصرها في هذا المقام وتحتاج الوقت لدراستها، ولكن سنشير إليها من خلال واقع دور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي الحالي السادس، حيث عرضت الحكومة خلال هذا الدور على مجلس النواب (16) مرسوم بقانون، معظمها وافق عليها مجلس النواب وأحالها لمجلس الشورى بعد أن اخذت من الوقت الكثير في دراستها في اللجان ومناقشتها في المجلس، ولست معنياً هنا ببيان مضمون موادها ومدى توافر شرط الضرورة، ولكن يمكن أن أشير إلى أبرز وأهم هذه المراسيم بقوانين، هو المرسوم بقانون رقم (38) لسنة 2022 بتعديل بعض أحكام اللائحة الداخلية لمجلس النواب الذي عرضته الحكومة على المجلس في جلسته الثانية المنعقدة بتاريخ 20 ديسمبر 2022، وقرر المجلس إحالته بذات التاريخ إلى لجنة الشؤون التشريعية والقانونية بصفة أصلية لتقديم تقرير بشأنه تمهيداً لعرضه. كمثال على مدى هيمنة وتغوّل السلطة التنفيذية وضعف مجلس النواب في تشريع القوانين، وأنه ليس هناك من ضرورة لإصداره بهذه الإدارة.

إن هذه التعديلات التي جاءت بموجب هذا المرسوم بقانون تتعلق بالنظام الداخلي للمجلس، إذ تعد اللائحة الداخلية التي تنظم الشؤون الداخلية لمجلس النواب من أهم الوسائل التي تساهم في الدفع بعمله على نحو يمكنه من القيام بواجباته المحددة في الدستور على الوجه الأفضل، غير أن دور الانعقاد انفض في 5 يونيو 2023 دون يتم أن عرض هذا المرسوم بقانون بتقرير من لجنة الشؤون التشريعية والقانونية للبت فيه، ولأن له قوة القانون ظلت مواده سارية على أعمال المجلس بما فيها من قيود طوال دور الإنعقاد.

لقد بررت الحكومة إصداره بأداة المرسوم بقانون في غيبة المجلس بإعادة تنظيم عمل المجلس في الجلسات ضماناً لإداء المجلس لمهامه المنوطة به، ولتلافي أوجه القصور في اللائحة والتي تكشف عنها الواقع العملي بما يؤدي إلى الحفاظ على وقت وجهد المجلس، ولتوفير المزيد من الضمانات لعضو مجلس النواب حتى يؤدي مهامه وهو مطمئن إلى غده ومستقبله الوظيفي من خلال جواز إعادة تعيين أو توظيف العضو الذي يشغل وظيفة عامة وتخلى عنها بسبب عضويته في مجلس النواب وهو ما ينعكس أيجابا على أدائه وعطائه.

يا لها من تبريرات لا أساس لها من الصحة لا من الناحية الدستورية والقانونية ولا من الناحية الواقعية، ذلك أن من أبرز مظاهر استقلال مجلس النواب عن السلطة التنفيذية هو أن يقوم بنفسه بوضع وإقرار لائحته الداخلية، وإجراء أي تعديل عليها لتنظيم شؤونه الداخلية كما هو الحال في دستور الكويت والأردن ومصر، لا أن تقوم السلطة التنفيذية بإجراء هذه التعديلات وفي غيبته.

ثم أنه عن أي قصور تتحدث الحكومة في اللائحة الداخلية ويجب تلافيه للحفاظ كما تقول على وقت وجهد المجلس، الذي جعلها تبرر صدوره بموجب مرسوم بقانون، ذلك أن ما وضعته الحكومة من تعديلات على اللائحة لا تعالج ما سمته قصوراً، بل تزيد اللائحة نصوصا جديدة تقيّد عمل المجلس فوق القيود التي وضعتها في تعديلات سابقة، فهذه التعديلات حرمت المجلس من تشكيل لجان نوعية دائمة غير اللجان النوعية الخمس، بل عدلت من طلب مجلس النواب في تشكيل اللجان المؤقتة لدراسة موضوع معين، فاصبح بعد التعديل من حق رئيس المجلس الذي له وحده اقتراح تشكيلها. كما أنها ألغت حق مجلس النواب في أن يقرر بنفسه في استمرارية الاقتراحات بقوانين المقدمة منه والتي صيغت في مشروع قانون وأحيلت للمجلس بهذه الصيغة، وانتهى الفصل التشريعي ولم يفصل فيها المجلس السابق ولم يعد قرار استمرار النظر فيها طبقاً لهذا التعديل من حق مجلس النواب كما كان النص قبل التعديل بل من حق الحكومة.

أما بالنسبة لما تفضلت به الحكومة أن هذه التعديلات تحافظ على وقت وجهد المجلس، فإن واقع جلسات المجلس خلال دور الانعقاد الأول يكذب ذلك، وتكشف أن وقت وجهد المجلس في اختصاصه التشريعي المتمثل بحقه في اقتراح القوانين قد تأخر في ظل العدد الكبير من مشروعات القوانين والمراسيم بقوانين التي تقدمت بها الحكومة وصل إلى حد عجز المجلس ولجانه عن عرض الاقتراحات بقوانين الذي تقدّم بها وعددها 291 لم يعرض منها سوى 11، واحد في الجلسة ما قبل الأخيرة رقم (22). وعشرة منها في الجلسة الأخيرة (23)، وافق عليها المجلس وأحالها للحكومة لوضعها في صيغة مشروع قانون.

إن التبرير الأخير الذي وضعته الحكومة واسترسلت طويلا في بيانه بتوفير المزيد من الضمانات لعضو مجلس النواب حتى يؤدي مهامه، وهو مطمئن إلى غده ومستقبله الوظيفي من خلال جواز إعادة تعيين أو توظيف العضو الذي يشغل وظيفة عامة وتخلى عنها بسبب عضويته في مجلس النواب وهو ما ينعكس إيجابا على أدائه وعطائه، فيه إغراء أو (طعم) لأعضاء مجلس النواب للموافقة على هذه التعديلات، في وقت يتعين فيه على أعضاء مجلس النواب أن يعلموا تمام العلم أن المادة المتعلقة بإعادة تعيينهم أو توظيفهم والتي أضافتها التعديلات هو جوازي لا يلزم جهة الوظيفة العامة ولا يشمل النواب اللذين كانوا يعملون في القطاع الخاص.

فهل يتعظ النواب من موافقتهم على برنامج الحكومة والميزانية العامة برفضهم للمرسوم بقانون بتعديل نظامهم الداخلي، حين يعرض في دور الإنعقاد القادم؟ أم سيكون مجلس النواب أمام امتحان آخر يصححه الشعب؟

الرؤية والإصلاحات المنسيَّة في منظومة العمل البحرينية

لا يستطيع أحدٌ أن يتجاهل أهمية العمل ومكانته في الحياة البشرية، خصوصاً، في حياتنا العصرية الحديثة. تلك الحياة، المليئة بالمهام والمسؤوليات، وأيضاً، بالطموحات الضرورية، التي تقوم بتأمين أساسيات الاستقرار والنهضة في عالم اليوم.
في الشأن العام البحريني، تبقى قضية العمل، هي الهاجس الأكبر للبحرينيين. هذه القضية، التي لم يتم قراءة فصولها وسياقاتها بشكلٍ صحيحٍ لحد الآن، وسنحاول في هذه المقالة، المقاربة الموضوعية إليها، من أجل أن يستكملها أصحاب الشأن والمسؤولية، فكرياً وسياسياً.
إن أزمة العمل في الحياة البحرينية، هي أزمةٌ بالغة التعقيد والأهمية، وتتطلب من البحرينيين المصارحة وتحمُّل المسؤولية، الذي لا يحتمل أبداً مواقف الجمود والأنانية. هذه المواقف، التي تراكمت من خلال الأسباب المختلفة؛ والاحترام مع الذات، وحده الذي يستطيع معالجة هذه الأزمة.

جعفر محمد علي

الجانب الاداري والسياسي، هو الجانب الأكثر تأثيراً في أزمة العمل البحرينية، وبعدها تأتي الجوانب المالية والمهنية والاقتصادية. وعندما نحاول قراءة الجوانب الأولى لهذه المسألة، نبدأ بمرحلة السبعينات مجدداً، حيث الاستقلال وبدايات الدولة، من خلال تكوين المؤسسات وبداية الاعتماد على الذات، أي على البحرينيين والقوى العاملة المحلية. وهنا نصل إلى الجوانب المهنية، من خلال دور القوى الوافدة، التي كانت حاضرةً دائماً في المؤسسات البحرينية، من أجل تسيير الحياة والعمل، في التخصصات المهنية المختلفة.
هذه الاضاءة التاريخية البسيطة، توضح أحد الأسباب لحضور القوى الوافدة في البحرين، على مدى العقود الطويلة الماضية؛ وإن أزمتنا الراهنة، قد أوصلتها الجوانب السياسية والادارية، من تاريخنا الحديث والمعاصر. ولا ننسى هنا، الاشادة والتقدير بالجهود الكبيرة، تلك التي تقدّم بها الدكتور علي فخرو، خلال مرحلة التكوين الأولى للدولة؛ من أجل تدريب وتخريج الكوادر البحرينية المتخصصة، للعمل والخدمة في وزارة الصحة البحرينية، وبعدها أيضاً، في وزارة التربية والتعليم. وإن هذه الجهود المخلصة، قد عكست الارادة الهادفة والتوجهات النابضة بقيم التحديث والنهضة.
لا نستطيع أن نتجاوز في البحرين، دور الإرادة الرسمية والحكومية، خلال مراحل البدايات، في تعزيز حضور البحرينيين، في المؤسسات البحرينية المختلفة. ولكن الجوانب السياسية – بحسب تقديرنا – قد لعبت دوراً متوتراً على مسارات النهوض والتنمية، تلك التي لم تصل بعد إلى الاعتماد على الذات. ونتيجةً لكل ذالك، تمَّ الاستمرار في الاعتماد على القوى الوافدة، كنوعٍ من الخيارات المؤقتة، في ظل وجود الاضطرابات والعوامل السياسية، التي كانت حاضرةً دائماً في تاريخ البحرين الحديث.
إن التعريف بالمراحل الماضية، بتجاربها وتعقيداتها، يساهم كثيراً، في فهم ومعالجة الأزمات الحاضرة. وبالرغم من صعوبة تلك المراحل، وما حملتها من تكاليف باهضة؛ تبقى تكلفة التراجع عن قيم المصلحة البحرينية والمصلحة العامة، هي التكلفة الأغلى في حياة البحرينيين ووجودهم. والتهاون الكبير في ثقافة الانتماء والعدالة، كانت ولا زالت، سبباً رئيسياً لتراجع البحرينيين عن طموحاتهم في الحياة الكريمة. هذا الانتماء، الذي يعكسه الاخلاص في تعزيز قيم الخير العام، وبمنطق الكفاءة والمهنية؛ الذي يرتقي عن المفاهيم الفئوية والمذهبية، تلك التي تدعمها العادات والتقاليد السيئة، في الثقافة الاجتماعية. وصورة العدالة هنا، تتمثل في احترام التعددية الثقافية والاجتماعية، التي نفتخر بوجودها دائماً في هويتنا البحرينية.
الجانب المالي في أزمة العمل البحرينية، هو أحد الأوجه الواضحة لهذه الأزمة، من خلال الاستثمار في "العمالة محدودة الأجر" لزيادة الأرباح لأصحاب العمل؛ وذالك للإختلاف الكبير بين رواتب القوى البحرينية وبين القوى العاملة الأجنبية. وهذه الأزمة، متواجدة منذ عقود طويلة، وهي بحاجة إلى النظرة الشاملة، من أجل معالجتها بالطريقة الصحيحة والعادلة.
التداخل الكبير بين الاقتصاد والسياسة، يحمل دوراً كبيراً في أولوية توظيف البحرينيين، في الأعمال والمهن المختلفة. والمصالح المالية والعوامل السياسية، تحمل من التأثيرات المهمة والمكلفة، التي يدفعها البحرينيُّون غالياً من مكتسباتهم وحياتهم.
إن منظومة العمل في الحياة البحرينية، تفتقد كثيراً إلى القيم الاصلاحية، تلك التي تتمثل في برامج التخطيط والتنظيم، الاداري والاقتصادي، لحماية الأولويات والمصالح البحرينية. وهذه البرامج، من المسؤوليات السياسية الواضحة، والتي تمَّ نسيانها لحساباتٍ بعيدةٍ جداً، عن النضج والتفكير في المستقبل.
مشاريع الاصلاح والتطوّر، تتطلب الكثير من الوعي وتحمُّل المسؤولية، على الأفراد والمواطنين، وأيضاً على الجهات الحكومية. وهنا سنحاول الاضاءة على أحد البرامج الهادفة، التي تساهم بتطوير مكانة العمال البحرينيين، على المستوى المهني والثقافي، والذي سيحمل الكثير من النتائج الايجابية، في المستقبل القريب والبعيد؛ من خلال تأسيس ورشات تدريب عالية الجودة، لتعريف المنتمين الجدد بمنظومة العملً القادمة، عبر التعريف والاضاءة على معاني القيم المهنية، ومكانة الالتزام بالعمل بالنسبة للشخصية الإنسانية. وأيضاً، للتعريف بالأبعاد الادارية، وطريقة التواصل الحضارية، عند مواجهة المشكلات المتعلقة بالعمل. إن هذه الورشة التدريبية، ستحمل أثراً كبيراً في دعم مكانة البحرينيين في سوق العمل، وسيكون المشاركين فيها من جميع الخريجين، للتخصصات المهنية المختلفة، وتحت إشراف المدربين الاكاديميين، في وزارة العمل البحرينية.
التأصيل لثقافة المهنية والعدالة في منظومة العمل البحرينية، يساهم كثيراً في زيادة الكفاءة والإنجاز، على مستوى المجتمع والدولة؛ من خلال تربية الذات والأبناء – عن دور ومكانة العمل – في تعزيز معاني الاخلاص والخدمة، لمبادئ الانتاج وقيم الخير العام، بدلاً من النظرة التقليدية للجوانب المادية. وهذه التربية الهادفة، جديرةٌ بأن تكون عنواناً إلى النزاهة والشرف، في شخصية الإنسان.
إن مستقبل العمل في البحرين – على المدى المنظور والقريب – يحمل الكثير من المسؤوليات والتحدّيات، من أجل إصلاحه ومعالجته. وطموحات بحرنة الوظائف وتمكين البحرينيين، لن تتقدّم، خطوةً واحدةً إلى الأمام، من دون معالجة جذور الأزمات السياسية، بين أصحاب القرار في السلطة، وبين أحد المكوّنات الرئيسية في المجتمع البحريني. هذه الأزمات، المليئة بالانقسام وتراجع الثقة، وإصلاحها الحقيقي، يبدأ بوجود عقليةٍ وثقافةٍ جديدة؛ ترتقي عن الجمود والكراهية، وتعمل وفق مبادئ المصلحة العامة وتطلعات المستقبل.
أهداف التغيير وطموحات الاصلاح، لا تتحقق في هذه الحياة بسهولةٍ أبداً، وسيبقى، ينقصها دائماً، ذالك الحافز الذي يجعلها ترى النور في حياتنا؛ من خلال مسارات الوعي والشجاعة، تلك التي تنتمي إلى قيم التحديث والخير الإنساني.
منهجية التغيير أو البديل، من الضروري أن تبدأ اليوم في ثقافة البحرينيين وحياتهم؛ من أجل إدراك مسارات التراجع الكبيرة، على مستوى الإنسان والهوية والمصالح العامة. وإن الغد الأفضل، يكمن في الصدق مع الذات أولاً – ومن خلال العمل – على قيم النهوض والعدالة والانتماء، البحرينية حقاً.

أحمد الشملان والحركة الوطنية الكويتية

أحمد الديين

لئن كان الفقيد أحمد الشملان واحداً من أبرز المناضلين الوطنيين واليساريين البحرينيين، فإنّه يُعدُّ كذلك مناضلاً وطنياً ويسارياً كويتياً، حيث انتظم في صفوف تنظيمات الحركة الوطنية الكويتية وتولى قيادة بعضها خلال عقدي الستينات والسبعينات من القرن العشرين، بل هو على نحو أعم واحد من ذلك اللفيف من المناضلين الوطنيين واليساريين الخليجيين العابرين للإقليم ممَنْ شاركوا في معارك النضال الوطني والديمقراطي في أكثر من بلد خليجي وتعرضوا للملاحقة والاعتقال والقمع في بلدانهم وبلدان الإقليم، شأنه في ذلك شأن الشهيد حسن نظام وخليفة خلفان وأحمد حميدان وأحمد الربعي وعبدالرحمن النعيمي.

فقد انتظم أحمد الشملان عندما كان طالباً في "ثانوية الشويخ" بالكويت ضمن صفوف "حزب البعث العربي الاشتراكي" لعدة أشهر في بداية الستينات، ثم انتقل إلى صفوف "حركة القوميين العرب" في الكويت تحت تأثير المدّ الناصري المتنامي وانتظام غالبية الناشطين البحرينيين، من أصدقائه ومعارفه المقيمين في الكويت حينذاك، ضمن تلك الحركة، التي كان د. أحمد الخطيب أحد مؤسسيها في بيروت مع د. جورج حبش ود. وديع حداد وهاني الهندي، وتولى بعدها تأسيس الفرع الكويتي، الذي كان مسؤولاً عن قيادة فروع "حركة القوميين العرب" الأخرى في الخليج والجزيرة العربية، بما فيها البحرين.

وخلال النصف الأول من الستينات عندما كان أحمد الشملان عضواً في الحركة بالكويت، فقد تولى القيام بمسؤوليات تنظيمية ومهام نضالية، وكان مسوولاً عن قيادة إحدى الخلايا التنظيمية للحركة، كما كانت له علاقاته المباشرة سياسياً وتنظيمياً واجتماعياً مع قيادات الحركة ونوابها في مجلس الأمة وأسرة تحرير صحيفة "الطليعة" مثل د. أحمد الخطيب، جاسم القطامي، سامي المنيس، علي الرضوان، د. خالد الوسمي، د. عبدالمالك خلف التميمي، وغيرهم.

وتم تكليفه بإيصال رسائل من قيادة إقليم الكويت في الحركة إلى قيادة الحركة في البحرين.

هذا ناهيك عن علاقات أحمد الشملان الاجتماعية بالمجتمع الكويتي ليس بوصفه طالباً بحرينياً يدرس في الكويت فحسب، وإنما نتيجة وجود أسرة خاله عبداللطيف سعد الشملان وأخيه يوسف الشملان في الكويت واكتسابهما الجنسية الكويتية، بل لقد كان خاله عبداللطيف شخصية اجتماعية مرموقة في الكويت؛ بالإضافة إلى كونه أحد كبار المسؤولين في الدولة الكويتية منذ الأربعينات بداية في سلك التعليم وبعدها في الديوان الأميري ومجلس الوزراء.

وبعد اجتيازه المرحلة الثانوية غاب أحمد الشملان عن الكويت بين العامين 1965 و1967 عندما انتقل إلى القاهرة للدراسة الجامعية أول الأمر، وبعدها في البحرين فترة مشاركته في انتفاضة 1965 واعتقاله وسجنه، ولم يعد إلى الكويت إلا في خريف العام 1967 حيث تعرّفت عليه خلال تلك الفترة ، إذ كان يتردد يومياً على صحيفة "الطليعة"، التي كنت أعمل فيها وعلى «نادي الاستقلال الثقافي» الذي كنت أحد أعضائه... ثم غادرنا إلى بغداد للدراسة الجامعية، وكانت له علاقاته الوثيقة مع تنظيم "الحركة الاشتراكية العربية" في العراق، بل مع قياديها البارزين عبدالإله النصراوي ذي الميل اليساري وهاشم علي محسن رئيس اتحاد عمال العراق حينذاك على الرغم أنه طالب في سنته الجامعية الأولى، وربما يعود ذلك إلى تقدّمه نسبياً في العمر وأقدميته الحزبية في صفوف "حركة القوميين العرب" وسجله النضالي في البحرين خلال انتفاضة 1965 وفترة اعتقاله...وعندما عاد إلي الكويت لتمضية العطلة الصيفية في العام 1968 توثقت علاقتنا أكثر، ولاحظت حينها فارقاً في انحيازه بشكل أوضح نحو الفكر الماركسي قياساً بما كان عليه قبل سفره إلى العراق.

وفي ذلك الصيف شهدت تنظيمات "حركة القوميين العرب" ليس في الكويت والخليج فحسب، وإنما في المشرق العربي عموماً استقطاباً حاداً بين "التيار اليساري" والقيادة التاريخية للحركة على قاعدة الخلاف حول "موضوعات حزيران" التي صاغها "التيار اليساري" وعلى رأسه نايف حواتمة بشأن عجز البرجوازية الصغيرة عن قيادة حركة التحرر الوطني العربية وضرورة تبني الماركسية، والتوجّه نحو حلّ "حركة القوميين العرب" كتنظيم على الصعيد القومي، وهذا ما تمّ حسمه في بداية العام 1969 عبر بيان "اللجنة التنفيذية القومية" التي كانت تحت قيادة "التيار اليساري" بإعلانها تصفية كيان الحركة، بحيث تشكّلت تنظيمات يسارية جديدة في فلسطين ولبنان والخليج هي "الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين" بقيادة نايف حواتمة، و»منظمة الاشتراكيين اللبنانيين» بقيادة محسن إبراهيم، و»الحركة الثورية الشعبية في عمان والخليج العربي» بقيادة أحمد حميدان، وقبلها أعلن "التيار اليساري" في "جبهة تحرير ظفار"، التي كانت تقود الثورة في إقليم ظفار، عن تغيير اسم الجبهة إلى "الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل"، التي تشكّلت كتنظيم ثوري خليجي على خلفية التصدي للوضع الناشئ عند الانسحاب البريطاني من المنطقة في إطار تنفيذ سياسية شرقي السويس ولمواجهة محاولات نظام شاه إيران ملء الفراغ في الخليج، وبالاستناد إلي "جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية"، التي استقلت في نوفمبر من العام 1967، كقاعدة خلفية لإسناد الثورة.

وما أن عاد أحمد الشملان إلى العراق بعد إجازته الصيفية، التي أمضاها معنا في الكويت، حتى حسم أمره والتحق برفاقه في "التيار اليساري" الذين شكلوا تنظيماً طلابياً رديفاً للحركة الثورية الشعبية تحت اسم "الطلائع الطلابية الثورية" كان أحمد أحد قياداته، كما جرى ضمّه إلى مكتب العلاقات الخارجية في "الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل".

وبعد تجربة مريرة واجهها أحمد الشملان في دبي صيف العام 1969 وبداية العام 1970، استأنف في خريف العام 1970 نشاطه السياسي والتنظيمي، وشارك في المؤتمر الثالث للحركة الثورية الشعبية المنعقد في بيروت خلال شهر أكتوبر 1970 وانتُخِب عضواً في قيادتها، التي كان على رأسها عبدالرحمن النَعيمي بعد اعتقال أحمد حميدان ومعظم عناصر القيادة السابقة في مسقط خلال شهر يونيو 1970.

ونتيجة صلة أحمد الشملان الاجتماعية والسياسية بالكويت، فقد جرى تكليفه بقيادة تنظيم فرع الحركة الثورية الشعبية فيها بعدما تعرضت قيادة الفرع الكويتي إلى الاعتقال والمحاكمة في صيف العام 1969، واستمر متولياً تلك المسؤولية القيادية خلال صيف العام 1971 وبدايات العام 1972، إلى أن استأنف تنظيم الفرع الكويتي وجوده ونشاطه بعد الإفراج عن أحمد الربعي في الكويت عقب اعتقاله في عمان ونقله إليها ومحاكمته فيها ثم العفو عنه، كما هي حال بقية رفاقه المعتقلين من قيادة الفرع الكويتي للحركة الثورية الشعبية.

وخلال وجود أحمد الشملان في الكويت بدأ في إجراء مراجعة نقدية شاملة لمسيرته ولخط الحركة الثورية الشعبية واختياراتها الفكرية والنضالية والسياسية، إذ كان معارضاً للتوجهات الفكرية لليسار الجديد، التي كانت تتبناها الحركة ولم يكن متوافقاً مع موقفها السلبي تجاه الاتحاد السوفياتي، الذي كانت تعدّه "تحريفياً"، بالإضافة إلى انتقاده اعتماد الحركة الثورية الشعبية أسلوب الكفاح المسلح كشكل نضالي وحيد رغم عدم توافر شروطه ومتطلباته في معظم بلدان منطقة الخليج... ووقتها حسم أحمد الشملان أمره وقرر مغادرة صفوف تلك الحركة في شتاء العام 1972، وبدأ يقترب من الخط العام للحركة الشيوعية والعمالية العالمية حينذاك بقيادة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي واتجه للانتقال إلى «جبهة التحرير الوطني – البحرين" ليواصل مسيرته النضالية في صفوفها.

تلك لمحة سريعة عن ارتباط أحمد الشملان بالحركة الوطنية الكويتية ودوره المشهود فيها، مثلما كان دوره السياسي والنضالي مشهوداً في البحرين وفي قيادة حركتها الوطنية.

يا بو خالد ..وأنت خالد

عنونت مقالي هذا بكلمات الأغنية الراسخة التى كتبها وتغنى بها متألقاً الموسيقي الكبير الراحل الغائب الحاضر دوماً بإنسانيته ومبادئه وصوته وألحانه وأنغامه، سلمان زيمان «بوسلام» له الخلود ..إن فقدان مثل هؤلاء الأشخاص خسارة كبيرة للوطن والإنسانية. عزاؤنا أن بوسلام وثّق الكثير من سيرة بوخالد الحافلة التى سردتها العزيزة أم خالد في كتابها القيّم (سيرة مناضل وتاريخ وطن)..

ايمان شويطر

عندما عاد الشهيد هاشم طبيباً خريجاً من جامعة الصداقة في موسكو في 15 يوليو 1982، كنا، يومها، مخطوبين انا وهاشم، وحينها كان بوخالد في المعتقل في الفترة من 1981 – 1986، بعد عودته مباشرة خريجا من موسكو بعد نيله درجة الماجستير في القانون الدولي.

حدثني هاشم بعد ارتباطي به في أغسطس 1982 عن شخصية بوخالد وسيرته النضالية وأسباب اعتقاله، فأفصحت أنني أعرفه قبل أن أراه وكان لي شرف التعرف على أم خالد، حيث كان هاشم يصر على زيارتها وأن نكون قريبين منها والسؤال عنها وعن ابنها خالد ومشاركتها كل مناسباتنا ..كان يحاول إخراجها من ألم غياب أبو خالد في المعتقل، حيث كان هاشم ينطلق من الواجب الحزبي والإنساني المسئول وما يمليه عليه فكره ومبادؤه .

استمر تواصلنا مع أم خالد حتى ولادة ابننا البكر عادل في يناير 1984، واستمرت الزيارات والتواصل حتى جاء ذات يوم سعيدا ومبتهجا لدى سماعه خبر الإفراج عن بوخالد في يونيو 1986، وكنت حاملاً في شهري السادس بابني الثاني، عندما قمنا بزيارة للسلام على بوخالد في المنزل الذى كانا يقطنان به بالمحرق، وكان لي شرف اللقاء والتعرف عن قرب على الشخصية الوطنية المناضلة، فكنت أمام قامة كبيرة كدت أنحني تقديرا واجلالا لبطولته وتضحياته، وأتذكر أنه انزوى مع هاشم في زاويه في حوش المنزل الكبير، وتحدثا طويلاً، وأعتقد أن الحديث دار حول العمل التنظيمي في تلك الفترة، وإطلاع بوخالد على مستجدات المرحلة.

بعدها زارنا بوخالد وأم خالد في شقتنا في مدينة عيسى في ظل الأجواء المتوترة آنذاك، و كانت هي المرة الأخيرة التى يلتقي فيها المناضلان، ومن بعدها وفي شهر يوليو من السنة نفسها، قامت السلطة بحملة اعتقالات واسعة على اثر تصعيد في العمل التنظيمي، مما أدى إلى انقطاع التواصل بين الرفاق في ظل الرقابة الأمنية المشددة، وتحت تأثير ما تمّ انتزاعه من معلومات تحت التعذيب، تمّ في 11 أغسطس اعتقال الدكتور هاشم واستشهاده تحت التعذيب في 18 سبتمبر. تقول أم خالد في كتابها: «لقد هز استشهاد الدكتور هاشم كياننا أحمد وأنا فلكلينا صداقة حميمة مع الدكتور، وبالنسبة لي لايمكن أن أنسى ماحييت مواقف الشهيد د.هاشم معي سنوات إعتقال أحمد في النصف الأول من عقد الثمانينات، لقد كان الشهيد من القلة القليلة التى وقفت بجانبي وآزرتني أيام معاناتي في السنوات الصعبة».

عندما استشهد هاشم تحت وطأة التعذيب روّع بعض الأصدقاء والرفاق بلوغ القمع التصفيات الجسدية فشعروا بالخوف من المشاركة في جنازة الشهيد، ولكن كان لأبي خالد موقف جريء شجاع، حيث كان وقف عند بوابة مأتم القصاب يستقبل المعزين، وداوم على الحضور حتى نهاية العزاء، في الوقت نفسه كانت أم خالد من أوائل المعزيات وقد امتنعت الكثيرات عن الحضور أو السؤال وتقديم العزاء بالمكالمات الهاتفية حيث الرقابة الأمنية المشددة، واستمر الخوف والجفاء حتى بعد ولادتي بعد استشهاده ب 15 يوما في 3 أكتوبر بإبنه هاشم. ولكن بوخالد من القلائل الذين ظلوا على التواصل بين الحين والآخر للسؤال والإطمئنان على ابني الشهيد هاشم ..منطلقا من انسانيته ومبادئه الوطنيه متمسكاً بها وبما يمليه عليه واجبه الحزبي مخلصاً كعلاقته بالتنظيم الى أن فارق الحياة في 23 يونيو 2023، تاركاً وراءه تاريخاً حافلاً بالتضحيات، ملهماً للعطاء.

أحمد الشملان.. صلابة المناضل ورهافة المبدع

مع الفقيد

عندما يرحل عنّا الأحبة، خاصة، تحضر في أذهاننا، من مستودع الذاكرة، حكايات وذكريات جمعتنا معهم في مراحل مختلفة من حياتنا المشتركة. فكيف عندما يكون الراحل هو أحمد الشملان بكل ما يُمثله، وبكل ما به من أبعاد، الشملان الإنسان، والشملان المناضل، والشملان الشاعر والأديب، والشملان الرفيق والصديق، ففي شخصه تعدد الشخوص في نسيج فريد من نوعه.

د. حسن مدن

قبل عودتي إلى الوطن عام 2001، من الغربة الطويلة، يمكنني القول إن لقاءاتي مع «أبوخالد» ليست كثيرة ومتباعدة، ولكنها، على قلتها، مكتنزة بالذكريات. لكن الذي أذكره جيداً أن أول لقاء وجهاً لوجه مع أحمد الشملان كان على الأرجح في عام 1974، في جلسة سمر أدبي في منطقة الهورة قريباً من سلماباد، يوم كانت فضاءاً مفتوحاً، وهي جلسة سمر اسبوعي اعتدناها معيّة الاصدقاء الشعراء: علي عبدالله خليفة، الشهيد سعيد العويناتي، المرحوم علّام القائد، إيمان أسيري، والقاص والروائي عبدالقادر عقيل، والقاص والروائي الراحل عبدالله علي خليفة وربما أخرين أيضاً لم أعد أذكرهم، تشمل قراءات شعرية ومناقشات أدبية ودردشات عامة، حيث دعا علي خليفة أحمد الشملان الذي كان قد أفرج عنه من المعتقل قبل شهور قليلة إلى واحدة من هذه الجلسات، وأذكر أنه ألقى، بدوره، شيئاً من شعره في تلك الأمسية. كان اسم الشملان ودوره حاضرين في ذهني حتى قبل هذا اللقاء، لكن أن تجالسه وتستمع إلى أحاديثة أمر مختلف.

بعدها بشهور غادرت أنا إلى القاهرة للدراسة، وكان الشملان وقتها قد أعيد اعتقاله في يونيو من السنة ذاتها، ليغادر بعد الإفراج عنه إلى موسكو لمواصلة دراسته، إلى أن التقينا ثانية في المؤتمر العام للاتحاد الوطني لطلبة البحرين الذي عقد في بغداد شتاء 1976، حيث كان أبو خالد ضمن وفد فرع الاتحاد في موسكو الذي جاء للمشاركة في أعمال المؤتمر، إلا أن من أهمّ اللقاءات التالية التي جمعتنا كانت في دمشق في 1981، التي أتاها الشملان من موسكو بعد تخرجه من الجامعة، حيث كُلفنا، معاً، بإعداد مسودة برنامج سياسي جديد للتنظيم، عكفنا عليه فترة ليست قصيرة، وفي السنة نفسها التقينا في الكونفرنس الحزبي لجبهة التحرير الذي عقد في مدينة أبيّن بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، حيث شارك أبو خالد بفعالية في مناقشاته، وما زلت أذكر أمسيات تلك الأيام القليلة، حيث كنا، نحن الحضور، نجلس في الفضاء الخارجي توخياً لبعض النسمات في ذلك الجو الحار، نتبادل الأحاديث، وكان صوت أبو خالد يصدح بشكل جميل بأغنيات فيروز التي يحفظها، قائلاً لنا إن هذا كان يحدث أيضاً في ليالي اعتقاله الطويلة مع رفاقه فيما مضى من سنوات.

قبل إصابته بالجلطة الدماغية التقيت بالشملان، معيّة أصدقاء مشتركين لنا، في الإمارات، التي أصبحت أعيش وأعمل فيها في تلك الفترة بعد منعي من دخول البحرين، وأتاح لي ذلك مطالعة المقال اليومي لأحمد الشملان في جريدة «الخليج» الذي كان ينشر في صحف خليجية أخرى أيضاً، بيها «أخبار الخليج» البحرينية، بعنوان «أجراس».

وأتى ابوخالد الإمارات في زيارة قصيرة، وفي أكثر من لقاء جمعنا فيها، وجدته على ما عهدته فيه من دماثة الخلق وصلابة الموقف وتنوع الاهتمامات، ثم وصلتنا الأخبار المحزنة عن مرضه وفقدانه القدرة على النطق، قبل عودتي إلى البحرين بسنوات قليلة، وحين انتخبت أميناً عاماً للمنبر التقدمي في مؤتمره الثاني بديسمبر 2002، كان أبو خالد حينها قد اختير، قبل عام، في المؤتمر الأول، رئيساً فخرياً للتقدمي، وهكذا جمعتني به عشرة أعوام متواصلة من العمل المشترك في التنظيم، حيث كنت أقف بجواره دائماً في الفعاليات والاحتفالات التي يحرص أبو خالد على حضورها وتولي تكريم المشاركين فيها.

ومن المحطات التي نعتزّ بها، أنا ورفاقي في «التقدمي»، مهرجان «أيام أحمد الشملان» الذي أقمناه في الفترة بين 14- 25 نوفمبر 2009 احتفاء بالشملان، وعملت على تنظيمه وإنجاح فعالياته لجنة

تحضيرية برئاسة المايسترو خليفة زيمان، وهو مهرجان سياسي وثقافي نظمّ برعاية مشكورة من مؤسسات إعلامية مرموقة في البلاد، واشتمل المهرجان الذي توزعت فعالياته بين مقر «التقدمي» بمدينة عيسى، وقاعة الشيخ عيسى بن سلمان بنادي الخريجين على أنشطة متنوعة من ندوات فكرية وأدبية شارك فيها شخصيات سياسية وإعلامية وثقافية معروفة، وأمسية شعرية ألقي فيها بعض أبرز شعراء البحرين ومثقفيها نصوصاً شعرية من دواوين أحمد الشملان، وقدّمها الفنان عبدالله يوسف، وحفل موسيقي وغنائي أحياه عدد من أبرز الفنانين والموسيقيين البحرين، وافتتح المهرجان بمعرض فني تشكيلي لعدد من الفنانين التشكيليين البحرينيين الذين عرضوا لوحاتهم المستوحاة من سيرة احمد الشملان وحياته الحافلة بالمحطات النضالية والإنسانية، كما حوى المعرض بعض مقتنيات «أبوخالد»، وكان هذا المهرجان، عن حق، تظاهرة للثقافة الديمقراطية في البحرين، بتعدد وتنوع فعالياته النابعة من تعدد وتنوع اهتمامات احمد الشملان نفسه، فشخصيته الثريّة أضفت ثراءها على الحدث، بتنوع انشغالاته بالسياسة والفكر والقانون والفلسفة والأدب والشعر، وتظهر هذه المساهمات في كتاباته ونتاجاته الشعرية والأدبية التي لا يمكن فصلها عن موقفه النضالي الذي طبع حياته منذ صباه حتى اليوم. ومن روائع الصدف أن تزامن موعد هذا المهرجان مع صدور العمل الموسوعي الكبير الذي عكفت زوجة الشملان ورفيقة دربه الأستاذة فوزية مطر، الكاتبة والتربوية والناشطة النسوية المعروفة، على جمع مادته وكتابته خلال سنوات من العمل الدؤوب والمثابر، وقدّم إضافة مهمة في التعريف بتاريخ حركتنا الوطنية.

***

أي وجه من وجوه أحمد الشملان علينا أن نقارب؟

وجه المناضل الصلب العنيد، وجه الشاعر والأديب المرهف، وجه الكاتب الصحافي في سجالاته الجريئة، وجه المحامي الذي يصعب أن تفصل بينه وبين داعية حقوق الإنسان الذي جعل من المهنة وسيلة دفاع عن الحرية والحق؟

أحمد الشملان هو كل ذلك وأكثر، إنه ذلك التكوين الإنساني العجيب في نسيج واحد، وإن تعددت أوجهه. ويمكن لنا أن نتحدث عن مراحل الشملان العمرية، وتحوّلاته السياسية والفكرية، عن أحمد الشملان الشاب اليافع وأحمد الشملان وقد أنضجته التجربة الحياتية والنضالية والإنسانية، ولكننا في كل الأحوال سنظل أمام تلك الروح النضالية المتقدة التي ظلت كما هي دائما.

طوّر أحمد الشملان مواقفه السياسية والفكرية تبعاً لتجربته الغنية، ولكن من موقع الالتزام النضالي العميق، وهو في هذا التطوير إنما كان يُعمق خياراته السياسية والفكرية والنضالية والإنسانية، وينفتح على آفاق أرحب في الفكر وفي الحياة وفي النضال ذاته.

التجربة النضالية هي دليل الشملان الى الوعي، حين حوّل انحيازه الوطني الذي جبل عليه منذ صباه إلى عمل سياسي نضالي واع منظم، وحين أدرك أن لا حركة ثورية دون نظًرية ثورية، وقرن هذا الإدراك بالفعل، فأثرى ممارسته النضالية بالوعي النظري، وحين جعل من هذا الوعي عملاً نضالياً لا ترفاً تنظيرياً.

ولا يمكن كتابة تاريخ الحركة الوطنية الحديث دون الوقوف أمام دور أحمد الشملان الشجاع والمتفاني في نضال هذه الحركة، فعلى الدوام كان أحمد الشملان في قلب النضالات الوطنية والعمالية والنقابية، منافحاً عنيداً عن حقوق الشعب، ولم يتردد أو يتوانى لحظة في دفع ضريبة ذلك بالسجن أو النفي، دون أن يفت ذلك من عضده، ودون أن تهون إرادته أو تضعف، يخرج من السجن فيستأنف نضاله، ليعود إليه بعد حين لا يطول، ورغم تكرار ذلك ظلّ أحمد الشملان هو نفسه بشجاعته وعزيمته وإرادته التي لا تلين.

سنجد أحمد الشملان، هذا المناضل والإنسان الصلب، حاضراً بعزيمته الفولاذية في نضالات الستينات والسبعينات والثمانينات والتسعينات، وسنجده، لاحقاً، حاضراً في الظروف المستجدة، بمكانته الكفاحية والمعنوية العظيمة على رأس المنبر التقدمي، حيث لم يمنعه مرضه من أن يكون حاضراً معنا في أنشطتنا وعملنا اليومي مُلهماً ومّعضدا، منه ومن سيرته تعلمنا الكثير وسنظل.

و إلى ذلك كله، فان أحمد الشملان هو الشاعر والأديب المهتم بالنقد والمسرح وصنوف الكتابة الإبداعية الأخرى، والكاتب اليومي في الصحافة المحلية والخليجية، الذي من خلال كتابته تصدى لمعالجة قضايا النضال من أجل الديمقراطية في البحرين وفي بلدان الخليج الأخرى، وكذلك نضال الشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية، متابعاً ومُحللا أثر المستجدات الدولية والإقليمية على هذا النضال، دون أن تتزحزح قناعته في عدالة القضية التي يناضل في سبيلها، ودون أن يفقد ولو للحظة التفاؤل في المستقبل، لأنه، في نهاية المطاف، لا يصح إلا الصحيح.

وأحمد الشملان هو أيضاً الإنسان المرهف المحب للموسيقى والفن، الذي كتب كلمات الأغاني والأناشيد الوطنية والابرويتات الغنائية التي قُدمت في الكثير من المناسبات، لذلك فان تنوع فعاليات "أيام الشملان" يبرز ما في شخصيته من تنوع إبداعي ونضالي وإنساني.

أحمد الشملان، الذي سنظل نفخر بأنه كان الرئيس الفخري لمنبرنا التقدمي، منذ تأسيسه، قامة من قامات هذا الوطن، بشموخ نخيل البحرين وكبريائها، في شخصه تتلخص مآثر جيل من قادة ومناضلي الحركة الوطنية البحرينية، وفي عطائه الإبداعي نلمس ذلك الوهج الإنساني الذي أضاء عتمة الوطن في مراحله الصعبة، لذا فان الاحتفاء به هو احتفاء بكل القيم والمعاني التي يختزنها شخصه، وهو إبراز للبديل الديمقراطي الذي عليه تنعقد الآمال في المضي بوطننا نحو آفاق التغيير الحقيقي المنشودة، آفاق البناء الديمقراطي الحقيقي والمساواة والعدالة الاجتماعية والوحدة الوطنية.

في 24 فبراير 2001، بعد التصويت على ميثاق العمل الوطني وما تلاه من انفراج سياسي كتبت فوزية مطر مقالا في جريدة «الأيام» بعنوان: «بعضَ أحلامك يا أحمد»، قالت فيه: أحمد... أراكَ اليومَ كما رأيتك دوما وكما رآك كل الوطنيين والشرفاء في هذا الوطن العظيم، جبلُ الدخان العتيد الراسخ في البحرين الصغيرة الشامخ الذي لا تخطئه ولا تُنكره العين ولا الفكر والوجدان... هذه بعض آمالك وأحلامك يا أحمد تتحققُ اليوم على أرض الواقع... هذه بعض من ثمار نضالك وتضحياتك مع غيرك من الطيبين والشرفاء على امتداد بحريننا العظيمة. بكل الصدق والإخلاص والنقاء ناضلت من اجل الحق الذي لم ترد به باطلا أبداً، متجردا من أي غرض أو مصلحة ذاتية.

صدقتِ يا أم خالد، ونحن معك نقول: حقٌ لأحمد الشملان وجيله أن يعرفَ أبناء اليوم مقدار ما قدموه من تضحيات جليلة في الأزمان السود. حقّ لأحمد أن يُحفر اسمه على جبينِ هذا الوطن بحروفٍ من ذهبْ، وهذا ما كان وسيبقى.

سنجد المناضل الشملان حاضراً بعزيمته الفولاذية في نضالات الستينات والسبعينات والثمانينات والتسعينات، وسنجده، لاحقاً، حاضراً في الظروف المستجدة

أحمد الشملان هو الشاعر والأديب المهتم بالنقد والمسرح وصنوف الكتابة الإبداعية الأخرى والكاتب اليومي في الصحافة المحلية والخليجية

الشملان هو الإنسان المرهف المحب للموسيقى والفن كتب كلمات الأغاني والأناشيد الوطنية والابرويتات الغنائية التي قُدمت في الكثير من المناسبات

رئيسنا الفخري وفخر الوطن

لم أجد صعوبة تذكر خلال كتابتي لهذا المقال عن صديقي ورفيقي المناضل الرمز أحمد الشملان سوى اعتصار الألم ونشوة الاعتزاز من أحداث ذكريات العمل معه جنبا إلى جنب أم من على بعد. ولن أفعل الآن سوى استعادة بعض مما كتبته أو قلته عن الشملان سابقاً.
قلت فيه عام ٢٠٠٩ في مقال «شملنا والشملان» أنه إذا كان أزكى الورود رائحة في منطقتنا هو الورد الطائفي فإن أزكى العطر في مجتمعنا يفوحه اللاطائفيون، الذين يَسمُون بالطوائف فوق الطائفية، منحازين لمصالح الكادحين من الطائفتين. والشملان خير مثال .. وأن يجمع مناضل بين الإيمان العميق بالنظرية الثورية العلمية ممتشقا سلاح الكلمة ليهندسها مقروءة شعرا أو عمودا صحافيا، مسموعة غناء أو نشيدا أو خطابا جماهيريا ملهما، أو دفوعات عن المظلومين في قاعات المحاكم، فهنا تضيق الدائرة وتضيق.. ولا متسع إلا لمثل البطل الأسطوري أحمد الشملان.

عبد الجليل النعيمي

حدثان هامان في عام 2009 أفاضا بما يزخر به تاريخ المناضل أحمد الشملان: كتاب رفيقة دربه النضالي وزوجته الأستاذة فوزية مطر "أحمد الشملان. سيرة مناضل وتاريخ وطن" و«أيام أحمد الشملان»، التي أقامها المنبر التقدمي ما بين 14 و25 نوفمبر 2009، احتفاءً بهذا المناضل الكبير. ومن كل ما عرض هنا وهناك وسُلِّط عليه من أضواء إعلامية كبيرة يُستدل أن ليست الأقدار من صنع من الشملان بطلا، بل أنه، باختياره لمواقفه المسبقة الإصرار والمنحازة بقوة لقضية الشعب ووحدة قواه الوطنية وبوعي عميق لعواقب مواقفه عليه قدم نفسه بطلا أسطوريا، ما جعل من أبي خالد خالدا في ذاكرة شعبه أبدا.
عرفت وسمعت عن كبيرنا الكثير قبل أن أخالطه. ويوم كان علي بحكم مهماتي في منظمتنا الحزبية في موسكو أن أقدم طلب التحاقه بجامعة الصداقة بين الشعوب باسم باتريس لومومبا بعد خروجه من السجن ليأتي إلينا للدراسة وكاستراحة محارب، اصطدمت بممانعة مجلس قبول الطلبة بالجامعة بالنسبة لطلب الشملان نظرا لكبر سنه (32 سنة)، ما قد يعيق دراسته الجامعية. أعدتُّ قراءة سيرته المرفقة وترسخت قناعتي أكثر بقدرة الشملان على تحدي أية عوائق لتعويض ما فاته من فرص التعليم. دافعت بقوة ووافقوا على مضض، ثم رأوا بأم أعينهم كيف حرص الشملان على التحصيل العلمي، وكيف ساعد الآخرين في الدراسة، وكيف نشط في مهامه المتعددة، وأخيرا كيف دافع عن رسالة الماجستير ونال شهادته في القانون بتفوق. وفي الجامعة، كما في الوطن شكل الشملان دائما النموذج الفريد الذي أذهل الجميع.
عرفت الحياة الحزبية والسياسية والاجتماعية في الاتحاد السوفييتي الشملان مساهما نشطا في كل مجالاتها. عمل في المجال الطلابي بنشاط وساهم بحضور فاعل في المؤتمر الثاني للاتحاد الوطني لطلبة البحرين في بغداد عام 1976. اجتماعيا كان أحمد نجم التجمعات والجلسات العائلية الخاصة لما له من جاذبية وتأثير في أجوائها حديثا وشعرا وغناء. قاد نشاطَ تثقيفٍ وإعدادٍ أيديولوجي في منظمتنا الحزبية. كان أبو خالد يهوى المطارحات الفكرية الجادة والمناقشات حول اليسار الجديد والطفولة اليسارية والنزعات المغامرة والسبيل إلى التعامل معها. كما يناقش بالتفاصيل مسائل الاختلافات في داخل الحركة الشيوعية والعمالية العربية والعالمية، مبديا رأيه الوازن في ذلك. ولما صعد الشملان إلى اللجنة القيادية وقاد خلايا حزبية وتربت على يديه كوادر حزبية هامة، وتحمل مسؤولية التواصل مع منظمات الأحزاب الشيوعية والعمالية والتقدمية الأخرى، وكذلك الاتصال بالمنظمات السوفييتية للسلم والتضامن والشبيبة والنقابات ساعياً وراء زيادة المنح الدراسية المقدمة لنا في كل عام ومتابعاً لأداء طلبتنا في موسكو ومدن الاتحاد السوفييتي الأخرى وحل مشاكلهم أولا بأول. كما ساهم في خوض كثير من المباحثات وألقى الخطابات المعتبرة في مختلف المحافل نصرةً لقضية شعبنا ووطننا، وانتُدِب ممثلا لـ"جتوب" في مؤتمرات دولية هامة كمؤتمر السلم العالمي الشهير في هلسنكي. كنت أنا مسؤول قيادة المنظمة الحزبية والشملان عضوها، لكن كنت دائما أشعر بحرج الموقف أمام هيبة الشملان وكبر شأنه. ولما أدرك حرجي هذا أخذني ذات مرة على جنب ليقول لي: أنت المسؤول وأنا جندي هنا، ولن تجد مني إلا كل الدعم، فامض بثقة. آه، كم كان وقع ذلك عظيم عليّ، وكم كبر أبو خالد في عيني أكثر وأكثر. وعملنا بالفعل متعاضدَين كرفيقين وأخوين وصديقين.
في موسكو، كما في كل مكان، كانت الكلمة سلاح الشملان القوي ليس في مجالَي الفكر والسياسة، بل وفي الأدب والفن. هناك ساهم في تأسيس اتحاد الكتاب العرب في موسكو ونشط في أعماله. وهناك أيضا كتب ولحن قصائده الوطنية التي احتوتها مسرحية "شيئ من تاريخ نجمة" حيث أخرجها ودرب الطلاب على أدائها، وعُرضت في احتفالات الذكرى 25 لتأسيس جبهة التحرير الوطني البحرانية عام 1980 كواحدة من أنجح الحفلات التي يقيمها الطلبة الأجانب في الاتحاد السوفييتي. بعد ذلك بخمس سنوات والمناضل الشملان قابع في السجن، وكنت حينها ممثلا للجبهة في عدن، أُعيد عرض المسرحية في احتفالات الذكرى الثلاثين للجبهة بعد أن عمل عليها لحنا وإخراجا وتدريبا فنانان عراقيان كبيران – جعفر حسن وحميد البصري والمخرج المسرحي اليمني نجيب. وساهم في الأداء رفاقنا الطالبات والطلاب الذين تقاطروا من الاتحاد السوفييتي ومصر والهند، إلى جانب فنانين محترفين من العراق واليمن. كان هذا الحفل هو الأكبر على المستوى المركزي. وإن أنسى فلن أنسى مشهد أبي خالد عندما عرضنا أمامه بعد عدة سنوات شريط ذلك الاحتفال، حيث أدمعت عيناه فرحا وفخرا.
تخرج الشملان من الجامعة في يونية 1981، وفي الفترة القصيرة ما بين تخرجه وعودته إلى البحرين ساهم بجد في كتابة مشروع برنامج جبهة التحرير الوطني وفي الإعداد إلى كونفرس الجبهة، والذي عقد بين كوادر جبهوية قيادية من الداخل والخارج بعد أشهر في أبيّن – بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لمناقشة مشروع البرنامج والوضع السياسي في البلاد وأوضاعنا التنظيمية، إضافة إلى مناقشة الدراسات المقدمة. وكان أبو خالد من بين أنشط المساهمين في الكونفرس. وعاد بعدها إلى الوطن .. لكن للأسف، بدلا من أن يعود إلى بلده كادرا وطنيا علميا في خدمته أُودعَ السجنَ من جديد. إنه يسدد باستمرار، بالأقساط وبالجملة، ثمن نضال مشرف لا هوادة فيه.

في بداية أغسطس 1989 اتصلتُ بالرفيق أحمد الشملان نيابة عن لجنة الخارج مستفسرا عن إمكانية سفره إلى تركيا قريبا فرد إيجابا. وكما تقول رفيقة دربه أ. فوزية مطر كانت تلك أول سفرة للشملان من البحرين إلى الخارج تحمل طابع المهمة الحزبية. وبدأت يوم 11 أغسطس 1989، حيث التقى هناك منفردا بالأمين العام الرفيق الراحل أحمد الذوادي لتدارس الوضع السياسي والاتفاق على الأساليب النضالية الملائمة. بعدها تتالت اللقاءات خلال التسعينات في بلدان أخرى.

بتاريخه النضالي لم يكن الشملان هو نفسه في كل الأوقات، لكن معدنه ظل أصيلا طوال الوقت. شملان عضو حركة القوميين العرب ثم الجبهة الشعبية ثم التحرير، وكأنه خبر كل تجارب اليسار البحريني متطورا إلى النظرية الماركسية اللينينية التي استقر عليها حتى آخر حياته الكفاحية تنظيما وفكرا وممارسة. وبهذا يشكل أحمد الشملان النداء الطبيعي والدائم لهذه القوى لتجسيد التيار الوطني الديمقراطي، الذي كان منزله مكانا متكررا لاجتماعات محاولة تأسيس التجمع الوطني الديمقراطي، كما كان داعما قويا لتشكيل التيار الوطني الديمقراطي بعد عام 2001.

يشكل الشملان النداء الطبيعي لجميع القوى والشخصيات الوطنية الأخرى لتجسيد الوحدة الوطنية سلاحا أمضى لتحقيق أهدافها المشتركة. أليس هو، أحمد الشملان، من مَثَّلَ اليسار يوما، ماسكا الشيخ عبد اللطيف المحمود بيد والشيخ عبد الأمير الجمري باليد الأخرى تجسيدا للوحدة الوطنية ودعوة لزعماء الطوائف اليوم، كي يرأبوا صدع الوحدة الوطنية ويعيدوها إلى ما كانت عليه في فترات ناصعة من تاريخ شعبنا النضالي؟

سافرتُ عام 1993 إلى الولايات المتحدة الأمريكية كناشط حقوقي والتقيت بمنظمة Lawyer to Lawyer التي يتبنى فيها محام أمريكي قضية محام من بلد آخر. ودار الحديث عن المحاميين أحمد الشملان وأحمد الذكير الذين تم تبني قضيتيهما، حيث كان ملفاهما موجودين أصلا لدى المنظمة.

سرعان ما لمع إسم الرفيق أحمد الشملان كصوت للحركة الوطنية وعنوانها في مختلف المحافل ولدى وكالات الأنباء، خصوصا خلال الإعداد والتعبئة من أجل العريضة الشعبية وتحمل عبء رفع لوائها. وكان بارز المشاركة في المؤتمر القومي في بيروت 1994 ليوصل الصوت إلى هناك كما إلى كل العالم.

وعندما احتدت الأوضاع مع نهاية عام 1994 سجل الشملان حضورا لافتا في عموم الشارع البحريني بحماسه المتقد وواقعيته الرزينة. وأذكر مرة أننا كنا كوفد للحركة الوطنية على وشك الذهاب لمقابلة مع هيئة الإذاعة البريطانية، وقبلها اتصلت بالرفيقين أحمد الشملان ومحسن مرهون لأقف منهما على آخر التطورات. كانت موضوعية إعلامنا وتحركاتنا في الخارج تكمن في التغذية الصادقة والمستمرة من رفاقنا في الداخل.

كان خبر مرض المناضل الشملان ومنعه من السفر مجلجلا في الخارج. وكان العالم حريصا على أن يعرف ما يحدث معه من تطورات، وفي الواقع كان العمل على قضيته عملا من أجل القضية الوطنية بشكل عام.

أصبح من الصعب أن يُختصر إسم الشملان بجبهة التحرير الوطني البحرانية أو المنبر التقدمي. فهو كبير كِبَرَ الوطن بأكمله. لذلك حقّ لنا القول بأن رفيقنا المناضل أحمد الشملان هو رئيسنا الفخري وفخر الوطن.

المناضل أحمد

قاسم الحلال

أحمد لا يُنادى مُجردا
وهو حشد وسط حشد
بل بكنية تليق بالفدا
وهو يرحل عن عالمنا
نكبر بمواقفه المخلدة

****

رحّلوك وهاجسك أوال
وحينما خذلك لسانك
بعينيك عزفت الموال
تغني.. تهزج للوطن
وكلماتك دخراً لأجيال
كوكبة في يوم رحيلك
سارت ياحلو الخصال
لك المجد يارفيقنا
لك عهدنا معززاً بالآمال

****

يا دمع لا تمسح تراتيلي
لا تمسح ماكتبته لوطن
مزقته جحافل الظلاّم
يادمعة لا تمسحي الحبر
الذي سطرته من تأويلي

****

ارتقيت ولم تُحمل على
هودجا
انتشرت في الأصقاع
منهجا
ورفيقك سيف بن علي
نضالكما للشعب أججا
عيناكما على وطنٍ ترقبا
جيلا وراء جيل ينضجا

****

في وقتٍ طقس ليله حالك
وأحمد شعلة في درب شائك
وكان الوعي في البدء هامساً
ثم غدت الشعلة تضيء
وغدا الوعي رحباً لامسا

****

بشموخك اثنيت الحديد
أنت أخضرنا الباقي
فاخضرك باق لبعيد
يثمر آمالا حمراء عالية
للوطن الحر والشعب السعيد

****

رحلت عنا في زمن شحيح
يصرع فيه شموخ الكادحين
بعنادك مكّنت الصحيح
لك رايات الدنيا بألوانها
وحمائم بيضاء في بهو فسيح
لك زقزقة العصافير
وباسمك في الأزقة أصوات تصيح
اعرف انك نغم منتشر
وانك ستعود رذاذاً .. مطرا
ستعود في يوم حشد
ستصفق الأيدي لك وفاءاً وبرّا
أحمد .. يا قمر أوال
سقيت المهموم نصرا

الشملان .. مناراً فارقاً .. وعلامة على الطريق

لفتتني عبارة للناقد الأدبي «لودفيج» تقول «إنه ينبغي لنا أن نستطيع التفكير فيما لا ينبغي التفكير فيه»، وهذه العبارة تلخص حيرة ومحنة من يتصدى للكتابة عن حياة رجل ملأ الحياة بحراكه وطموحاته وأحلامه، حتى ضاقت به على رحبها واتساعها، فلم يجد متسعاً أو سنة من وقت يريح فيه، أو فسحة يترجل فيها عن صلبان أحلامه وطموحاته الباهظة، ذلك هو الأديب والكاتب والشاعر والمناضل الوطني العنيد أحمد عيسى الشملان "أبو خالد".

يوسف حسن

لعل الكاتبة والرائدة الاجتماعية فوزية مطر، وهي من شاطرت أحمد ضرع الأحلام والمرارات والمكابدات، وقاسمته شظف العيش وخشونة النضال، واستطعمت رغيفه المجلل بالكرامة، والمغموس بالكد والتعب وعرق الجبين، وتجرعت سادية طرّاق الفجر وليالي الوحشة ووحوشها، لعلها الوحيدة أو هي واحدة من الرفيقات القليلات والرفاق القلة الذين عرفوا أبا خالد معرفة الواقع والحقيقة والأعماق، ووقفوا على دقائق تفاصيل هذه السيرة الحياتية الصعبة، الغنية الخصبة، متعددة الهموم والمجالات والحقول والأبعاد، والمشغولة المزدحمة حدّ الاكتناز، والتي بالكاد وسعها كتاب ينيف على ألف صفحة من الحجم الكبير.

عرفتُ أبا خالد عن قرب في منتصف التسعينيات من القرن المنصرم، بمجلس إدارة أسرة الأدباء والكتاب، وكنت أصغي إليه إصغاء الصوفي إلى معلمه ورائده الكبير، يأخذني بحديثه فأهوم، ويجنح بي الخيال، فتخطر بي الرؤى بسحبها الثقيلة الممطرة، وكنت في هذا الشطط اللاواعي وذلك التهويم التخييلي أبحث جاهداً عن صورة تتوسم أبا خالد الإنسان، وتلم ذلك الصحو البهاء الممطر أو عن إطار لتلك الصورة يزم ما يفيض به هذا المتحدث الكريم.

أي الرجالات أنت يا أبا خالد ..!؟،
أكاد لا أصدق ..!
أقمت مكتبا "للحقوق"، ثم ما لبث أن اتسع فصار بحجم الوطن الخيمة يلوذ بظلها الحفاة والرمض المتعبون، وكأنما بلسانك نطق الشاعر العراقي الكبير سعدي يوسف:
«تعالوا إلينا متعبين ورمَضا/ تعالوا إلينا أنه الأمل الجرح/ تعالوا وكونوا الماء يمنع نفسه/ وكونوا رماح الماء إن أورق الرمح»

يقول رفيق دربه ونضاله الكاتب الوطني الدكتور حسن مدن في تقديمه كتاب الشملان الموسوم ب "أجراس الأمل" الجزء الثاني الصادر عن مطبعة شركة الاتحاد 2002م
«أحمد ينتمي إلى قلة نادرة تجمع بين شجاعة الموقف وشجاعة الكلمة، الكلمة عنده موقف، أو كأنها تؤسس للموقف، فأحمد الشملان هو ذلك المثقف العضوي الذي كان دائما في مهب اللهب وهو يجترح إثارة الأسئلة الصعبة حتى في أزمنة الصمت».
نلمح في قراءاته وتحليلاته الأدبية الهاجس الإنساني الوطني جلياً كشرط مبدئي، إن لم يكن ضرورة وطنية، يقول في مقال له بعنوان "غربة الحداثة" في كتابه «المحو» والكتابة الصادر عن دار الكنوز، بيروت عام 1999 ص. 146
«لم تكن مشكلة الصياغة أو الشكل الفني هي الهاجس الأوحد، وإنما الهاجس الأوحد هو المضمون، والمضمون الفاعل في التفكير الجمعي لكافة الناس، لا في تفكير المثقفين وحدهم الذين ظلوا ممتلئين حتى آخر كلمة يكتبونها بسرمدية كتاباتهم واستحالة نقضها أو الخروج عليها» .. ويلمح بعمق ودقة من يقرأ ما تحت السطور إلى انتهازية ووصولية البعض في هذه الكتابات، فكرية كانت هذه الكتابات أم قصا أم نصا أدبيا فيقول: "إن الصراعات الأدبية والفنية كانت تحكمها "الأنا" وتوجه تقلباتها وتغيراتها أكثر مما كانت تحكمها موضوعية البحث أو القصيدة أو اللوحة الفنية أو المسرحية.»
ذلك هو أحمد «ممتلئا حتى العظم» بهموم الوطن وقضاياه، في قراءاته وكتاباته وكأنما هو من أشار إليه الشاعر الجنوبي شوقي بزيع: «يصغي إلى الأمطار قبل هطولها/ وإلى القصيدة وهي تنبض في المسام».
ثمة جانب إنساني ينبغي تأمله والوقوف عليه في هذه الشخصية الوطنية، التي قلما يجود بها الزمن الشحيح، فقد أعطى أحمد وبسخاء قلّ نظيره، كل ما يملك لوطنه ولشعبه وناسه، وقد بادله هذا الشعب الطيب البسيط عطاءه السخي الجميل عطاء بعطاء ووفاء بوفاء اعترافا بجميل عطاءاته الكبيرة.
زرت أحمد في مرضه، فرأيت على سحنته شيئا من الدموع، قلت ما الذي يبكيك يا أبا خالد، قال: للتو خرج من هنا رجل كهل كفيف البصر يقوده صبي صغير جاء من أقصى وأبعد قرية في البحرين، وقف مطلاً على السرير وقال: ركبنا ثلاثة باصات حتى وصلنا إليك يا أحمد بن شملان، وكنا ندعوا لك بالشفاء في كل صلاة في المسجد وفي كل عزاء للحسين في المأتم.
وكانت زيارتي الثانية له بعد خروجه من المستشفى في بيته بعراد، فكان بذات السحنة وذات الدموع حيث تدافعت الجموع هازجة مهنئة بسلامته، يقول أحمد: ما كنت أتصور هذا الزخم الكبير من الحفاوة والتكريم والفرح والابتهاج، تلك التي أولوني بها أولاء الناس البسطاء الطيبين.
يجسد الشاعر المبدع "كريم رضي" ببداهته وطبيعته وسليقته السمحة هذا الوجدان الشعبي العفوي وهذا التعاطف الجمعي الملحمي النبيل مع "أبي خالد" فقيد شعبنا ووطننا البحرين بقصيدته «بحر ثالث» ومنها:

شملان قيل ولم يخنك اسم فقد — وسعت معانيك البلاد شمولا
حتى إذا فارقتها أتت المـــــلا — بعواطف تهمي عليك هطولا
فكأنما البحرين فيك ثلاثـــــة — وامتزت فيها لؤلؤا ومسيـــلا
وتجمع الأضداد عندك هكـــذا — تأبى عن الحب البحار عدولا

برغم رحيل أحمد وغيابه، سيظل حيا نابضا هنا في الأعماق والضمائر والقلوب، وسيظل منارا فارقا وعلامة على طريق تحرير الإنسان وتقدم الشعوب.

المناضل الذى لايجلس على مقاعد الغياب

من أي الأبواب يمكن أن نلج إلى واحة رمز استثنائي من رموز البحرين الوطنية .. رحل أخيراً وترك الألم العميق في نفوسنا، كما ترك ذكرى عطرة فى مخيلتنا، إنه العزيز على قلوبنا المناضل احمد الشملان .. الكبير في القيمة والعطاء والأثر والمعنى والرمز، واسهاماته في تعزيز مداميك العمل الوطنى بالأفعال ودون مزايدات .. هو باختصار نوعية من الناس ممن قال عنهم محمود درويش: «لا يجلسون على مقاعد الغياب مهما كان الغياب صاعقاً».

خليل يوسف

هل من باب سيرته المفتوحة على المدى الرحب، ومحطاته النضالية التى ارتبطت بحركة الجماهير والكادحين، أم بوابة الأفكار والقناعات والمواقف التى كانت فى داخله، أم بوابة الالتزام بقضايا وطنه ومواقفه الخارقة، ووفاءه لقناعاته، ومبادئه وعلاقاته، وابتعاده عن التقلبات والـزلات، أم من باب روحـه النضالية الجسورة وصلابته الخارقة وسنوات سجنه المتكرر والمتتالي، وكيف انها لم تنل او تهبط من إرادته وعزيمته، أم من باب صفته كمحام وككاتب وأديب جمع بين شجاعة الموقف وشجاعة الكلمة، والكلمّة عنده، كما جاء فى مقدمة كتابه "أجراس الأمل" موقف فى المقام الأول، كأنها تنطلق من الموقف، أو كأنها تؤسس للموقف، وكل تلك أبواب تغرى بالولوج والتنقل والاستمتاع والتزود بذخيرة عز نظيرها، ومن قرأ كتاب "سيرة مناضل وتاريخ وطن" الذى كتبته زوجته ورفيقة دربه المربية الفاضلة فوزية مطر وما دوّنته فى هذ الكتاب في اكثر من 1000 صفحة من محطات ومواقف يدرك إلى أي مدى كانت حياته ومسيرته ثرية متعددة الأوجه بكل ما فيها من فرادة وتميز وتضحيات ومعاناة.

نعلم أن الدخول إلى تلك الواحة البديعة، وتناول كل المحطات فيها مغامرة صعبة، كيف لا، وهى واحة غنية بالكثير مما يمكن تناوله والتوقف عنده، لا سيما وأن الرجل كما وصفه عضو الحركة التقدمية الكويتية أحمد الديين فى الندوة التى نظمتها الحركة والمنبر التقدمى هو «أحـد المناضلين العابرين للإقليم، وأنه لا يمكن فصل مسيرة الحركة الوطنية ليس في البحرين فقط، بل في منطقة الخليج عن دور الشملان الحاضر دوماً بآرائه وبمواقفه في الحراك الوطنى بالمنطقة الخليجية والعربية»، وبالفعل الراحل حاضر بروحه النضالية المتقدة وتوهج صدقيته فى التعامل مع القضايا الوطنية حتى حاز محبة أصدقائه ورفـاق دربه واحترام خصومه أو من يختلف معه فى آن واحد.

يمكن أن نتمعن كمثال على محبة الناس له في تلك الصور التى لا تمحى من الأذهـان والتى شهدناها خلال توديع الفقيد الشملان إلى مثواه الأخـير، صورة تلك الجموع الغفيرة من كل الأطياف التى توافدت إلى المقبرة من كل أنحاء البحرين ومن خارجها، حين جاء أشقاء من بلدان خليجية للمشاركة في التشييع والعزاء، وصورة الناس الذين كانوا يعزون بعضهم بعضاً، وحالة الحزن التى بدت على وجوه الجميع، وصورة الكتابات والمقالات التى تدفقت ونشرت عبر أكثر من وسيلة وأكثر من موقع، ومعها كم من من برقيات التعازى التى وردت إلى عائلته والمنبر التقدمى من أحزاب وهيئات وشخصيات وطنية وقومية وتقدمية عربية، كما لا ننسى تلك البيانات التى صدرت من جمعيات سياسية تمثل اتجاهات مختلفة وكلها تنعي الفقيد، وتعدد مآثره الوطنية، كل ذلك بالمجمل صور نموذجية تعكس محبة ومكانة الراحل فى صفوف الجميع وتقديرهم له ولدوره الوطني.

لست بحاجة إلى التذكير بذلك، وبكل ذلك الكم من الكلام الطيب عنه وعن سيرته وشخصيته الجامعة، وعن نضالاته من اجل الديمقراطية وأدواره ومحطاته النضالية، وكل ما يترجم حبه للوطن ووقوفه بعزيمة واصرار فى خندق واحد مع الذين كان نبضهم مع نبض الجماهير، فقد كان واضحاً أن عدداً ليس بقليل من الناس ساهموا فى ذلك بشكل أو بآخر، كما أن هذا العدد من «التقدمي" فى الملف الخاص بفقيدنا الشملان يسلط الأضواء على الكثير من محطات حياته الحافلة بالكثير مما يمكن التوقف عنده والتأمل فيه، وكلها محطات تشكل بامتياز نقاط مضيئة في حركتنا الوطنية، ولأني أعترف بأنى لا أملك القدرة على قول المزيد، رغم لقناعتي بـأن هناك الكثير مما يمكن قوله وتسجيله في حق فقيد البحرين، لا أملك القدرة على ذلك ربما تفادياً للكلام المكرر الـذى يصب في إيقاع واحد، ولكنى مضطر إلى تكرار القول بأن الفقيد الغالي الشملان شخصية وطنية جامعة، أحبّ الناس وناضل من أجلهم فأحبوه، من أجل «وطـن حـر وشعب سعيد» سيظل جـزءاً حياً من ذاكـرة الوطن، ونجماً ساطعاً فى سماء حركتنا الوطنية، لا يغيّبه الرحيل، المـوت لا يغّيب العظماء، فالسلام لروحك الطيبة يا طيب الذكر.

احمـــــد الشمـــــلان
الـــــذي رحـــــل واقفـــــاً

ودعت البحرين والحركة الوطنية فيها، وقوى اليسار الخليجي والعربي، أواخر يونيو/حزيران الماضي المناضل الوطني الرمز أحمد الشملان، بعد مسيرة زاخرة بالعطاء والتضحيات من اجل شعبه وأمته. فقد تجسدّت سيرة الراحل الكبير عبر مسيرة نضالية امتدت لعقود طويلة، وتحديداً منذ مطلع الستينات، مسيرة يشهد القاصي والداني أنها كانت مملوءة بالتضحيات والمواقف المبدئية الصلبة والشجاعة، التي لم يحد الشملان يوما عنها، رغم ما كابده من معاناة ومتاعب جمّة لا يمكن حصرها في هذه العجالة، إلا أنه وبشهادة الجميع ظل محتفظاً خلالها بذلك النقاء النادر الذي هو سمة المناضلين الشجعان الأوفياء لقضاياهم وقيمهم الثورية، التي جسّدت على الدوام تطلعاتهم لعالمٍ أكثر عدلاً واحتراماً لإنسانية وقيم البشر.

عبدالنبي سلمان

أحمد الشملان ذلك الراحل الكبير الذي بقي طيلة سنوات عمره النضالي علامة مميزة لا يمكن تجاوزها لمن يريد أن يقرأ، بحق، تاريخ البحرين وحركتها الوطنية، وكذلك تاريخ المنطقة بأسرها، عبر تحوّلاته الفكرية وتجاربه النضالية المتراكمة، والتي قادته في المحصلة ليصبح مناضلاً في صفوف جبهة التحرير الوطني البحرانية، وصولاً لرئاسته الفخرية للمنبر التقدمي في البحرين منذ تأسيسه، وريث ذلك التاريخ النضالي الحافل، إلا أنه تميّز بشكل لافت في الحفاظ على الروابط الإنسانية والنضالية والوطنية التي ربطته على الدوام برفاق دربه من المناضلين ومن مختلف الأجيال والتوجهات السياسية، وكسب بذلك احترام الجميع ومحبتهم.

وكان لتلك المحبة والاحترام مؤشرات واضحة في ما حظي به الراحل الكبير من تقدير لدى الجميع، وهو الذي فتح قلبه وعقله على الدوام في محاولة للحفاظ على وحدة قوى المعارضة الوطنية، على الرغم من حجم المصاعب وتفاوت التجارب السياسية، وتباعد المواقف في أحايين كثيرة، إلا أن الشملان استطاع مع مطلع التسعينات أن يكون صوتاً وطنياً مجلجلاً باسم الحركة الوطنية أمام العالم، إبان ما مرّت به بلادنا من أحداث، محافظاً على التوازن الإيجابي الذي ميّزه كشخصية وطنية بالدرجة الأولى، كما ميّز تياره السياسي، المنبر التقدمي، رغم وعورة الدرب ومشقته، وحتى بعد أن أقعدته الجلطات المتتالية وما جرّته من معاناة حقيقية، أصرّ «أبو خالد» إلا أن يبقى صوتاً معبراً عن أحلام شعبنا في حياة كريمة وعدالة اجتماعية مفتقدة، وبقي متابعاً للشأن السياسي من خلال حضوره الدائم في فعاليات المنبر التقدمي وبقية القوى السياسية والاجتماعية، كما أبقى مجلسه الأسبوعي مفتوحاً، تشاركه ذلك الهم رفيقة دربه «أم خالد» وثلة من رفاقه وأصدقائه الذين بقوا متمسكين بالأمل رغم كل العقبات والمصاعب، وبالفعل كان مجلسه على الدوام محطة التقاء مستمر لمختلف مكوّنات وشخصيات مجتمعنا البحريني.

رحل رمزنا الوطني أحمد الشملان واقفاً، كما يرحل الشجعان الأوفياء، وستبقى مسيرته ومآثره النضالية متجسدة وراسخة في وجدان رفاقه ومحبيه، فقد كان تنوع من حضروا لوداعه الأخير خير دليل على ما تعنيه محبة الناس لهذه القامة الوطنية الملهمة بالفعل، والتي سنظل نتعلم منها الدروس والعبر عبر القادم من الأيام والسنين.

نحن رفاقك أبا خالد نعاهدك أن تبقى ابتسامتك الدائمة التي تستقبلنا بها زاداً لنا لمواصلة دربنا الشائك الوعر، وكذلك هي مواقفك الوطنية ومبدئيتك وقيمك النضالية، وستبقى في قلوبنا وضمائرنا ملهماً طالما بقينا، وسيبقى الوطن والناس بوصلتنا من اجل وطن حر وشعب سعيد. نم قرير العين وسيكمل رفاقك دربنا الطويل،،،

بصراحة

أحمد الشملان... فقيد الوطن والحزب والقوى الوطنية الديمقراطية

عرفنا عنه، ونحن طلبة ندرس في الخارج بأنه معتقل سياسي منذ عام ١٩٨١ بعد عودته إلى الوطن متخرجاً من جامعة الصداقة بين الشعوب (جامعة باتريس لومومبا) وحاصلاً على شهادة الماجستير في القانون الدولي، وأتذكر بأننا قمنا بحملة تضامنية واسعة لإطلاق سراحه في مهرجان الشبيبة والطلبة العالمي الثاني عشر المقام في موسكو صيف عام ١٩٨٥، إلى جانب المطالبة بإطلاق سراح المناضل الرفيق الراحل الفنان الموسيقار مجيد مرهون الذي كان محكوماً بالمؤبد، وبقيّة المعتقلين والسجناء السياسيين.

فاضل الحليبي

بالرغم من أنني سمعت عنه من قبل وعن مواقفه الشجاعة، والتحوّلات الفكرية والسياسية التي حدثت بشكل واضح بعد هزيمة يونيو/ حزيران في عام 1967، وعمَّت العديد من البلدان العربية التي كانت توجد فيها فروع لحركة القوميين العرب وبالأخص في المركز الذي كان في بلاد الشام، تلك الإرهاصات الأولي سوف ترسي بفقيدنا في ميناء "جتوب" في عام 1972، التي كتب في ذكراها العشرين أغنية (علموني علموني.. جبهة التحرير اسمج ... علموني)، ولحنها وغناها الفنان العراقي التقدمي الراحل جعفر حسن، وإنْ تصرَّف بتغيير بعض الكلمات، لاحقًا، وفي نسخة لاحقة للأغنية، حيث حوَّلها إلى (علموني علموني.. الانتفاضة علموني الانتفاضة ... سلم وحرية وأماني علموني .....الخ)، كما كتب كلمات أغنية (يا أم بدر رقصي عمرج وصل عشرين) تعبيراً عن فخره بانضمامه لجبهة التحرير الوطني البحرانية، وكانت له مشاركة مع الفنان الموسيقار الراحل الرفيق مجيد مرهون في كتابة بعض كلمات النشيد الشهير، بحرينياً وخليجياً وعربياً: (طريقنا أنت تدري شوك ووعر عسير ...موت على جانبيه..لكننا سنسير)، وفي عام 2005 في الذكرى الخمسين " لجتوب" أضاف الفنان الراحل سلمان زيمان بعض الكلمات على النشيد، لتصبح "طريقنا»، عملاً جماعياً في كتابة الكلمات، للحن الذي وضعه الفنان الموسيقار الراحل الرفيق مجيد مرهون.

نحن بصدد الحديث عن سيرة فقيد البحرين والمنبر التقدمي والحركة الوطنية الديمقراطية المناضل الكبير المحامي أحمد بن عيسى الشملان (أبي خالد)، الذي توفي صباح يوم الجمعة الثالث والعشرين من حزيران/ يونيو الماضي، ولا نستطيع إيجاز سيرته في سطور، فسيرته النضالية حافلة بالنضال والتضحية والإبداع الثقافي والأدبي، وهي السيرة التي قامت بتدوينها زوجته المربية الفاضلة الأستاذة فوزية مطر (أم خالد) في كتاب (أحمد الشملان.. سيرة مناضل وتاريخ وطن) في أكثر من ألف صفحة، ولا غنى عن الإطلاع على هذا الكتاب من كل مهتم لا بسيرة المناضل الشملان وحده، وإنما بتاريخ الحركة الوطنية في البحرين.

ومن المحطات الهامة في تاريخ هذا المناضل الشجاع الذي صمد إبَّان فترة الاستعمار البريطاني، أنه كان أحد قادة انتفاضة مارس 1965 المجيدة، اُعتقل اثرها أكثر من سنتين، وكذلك دوره الوطني بعد مرحلة الاستقلال الوطني من أجل التحولات الديمقراطية الحقّة والحريات العامة والعدالة الاجتماعية والمساواة، وهو واحد من أصل خمسة من قادة وكوادر جبهة التحرير الوطني البحرانية من المعتقلين الذين كانوا أول من طبق عليهم قانون أمن الدولة في صيف عام 1974، وهم المناضلان الراحلان أحمد الذوادي ويوسف العجاجي، والنقابي عباس عواجي وفقيدنا المحامي أحمد الشملان والدكتور عبدالهادي خلف، وقد تناولت العديد من المقالات والأخبار جزءاً من سيرته النضالية بعد وفاته من قِبل شخصيات عديدة، وأصبحت هناك معلومات قيمة عن تاريخه الوطني منذ صباه حتى وفاته.

عرفته شخصياً وبشكل مباشر منذ 35 سنة وتحديداً في عام 1988 بعد عودتي من الخارج إلى الوطن، وفي وقتها كانت تدور الحوارات والمناقشات حول ضرورة كتابة عريضة تطالب بعودة الحياة النيابية في البلاد بعد حل المجلس الوطني في 26 أغسطس من عام 1975، وتطبيق قانون أمن الدولة في البلاد، وتتلخص مطالب العريضتَين النخبوية 1992 والشعبية 1994 في إشاعة الديمقراطية والحريات العامة، وإطلاق سراح المعتقلين والسجناء السياسيين وعودة المنفيين وإعطاء المرأة حق الانتخاب والترشح، وبمعنى أشمل المشاركة السياسية، كان أبرز المجالس التي تدور فيها تلك الحوارات مجلسا المناضل الوطني الراحل محمد جابر صباح سيادي ومجلس المناضل الوطني علي ربيعة، وهما نائبان سابقان عن كتلة الشعب اليسارية، وكانت تنظم العديد من الاجتماعات في بيت الرفيق الراحل أحمد الشملان، وفي سنوات لاحقة سوف يكون مجلسه الأسبوعي حافلاً بمناقشة العديد من قضايا الوطن.

أتوقفُ عند هذه الحقبة التاريخية لنسلطَ الضوءَ عليها لما تمثله من أهمية في حياة الشعب البحريني وتحديداً ابنه البار المناضل الشجاع أحمد الشملان، لأنه كان الناطق الرسمي باسم لجنة العريضة الشعبية، وكان الصوت الذي يعبِّر عن المطالب المشروعة لشعبنا في وسائل الإعلام وتحديداً في إذاعة «بي بي سي»، عندما صمتت أصوات الكثيرين، كان صوته يصدح ليقولَ حقيقةَ ما يجري في بلادنا، على خلفية الأحداث السياسية في عام 1994، ففي أحد اللقاءات معه قال له المذيع بأن ما يجري ليست مطالب سياسية، بل هي عمل تخريب وإرهاب، كما يقول هذا وزير الإعلام البحريني أنذاك، ردَّ عليه فقيد الوطن أبو خالد بأنها مطالب سياسية مشروعة، واللذان سقطا في الأحداث برصاص قوات الأمن شهيدين، وكان يقصد الشهيد هاني خميس من السنابس، والشهيد هاني الوسطي من جدحفص، حيث استشهدا في 17 ديسمبر 1994، فكان صوت الحقيقة في البحرين .وعندما تمَّ اعتقال العديد من الشباب في تلك الفترة كان أبو خالد، بصفته محامياً، مدافعاً عن العشرات منهم وكان مكتبه مفتوحاً لأهالي المعتقلين، وبعد اعتقاله لمدة ثلاثة أشهر في عام 1996، برَّأته المحكمة وأُطلق سراحُه، وفي ديسمبر من نفس العام أُصيب بجلطة في القلب، لتليها جلطة أخرى في الدماغ عام 1997، وبالرغم من أنها حرمته من القدرة على الكتابة والكلام، ظلّ بهيبته الوطنية حاضراً في الأنشطة والفعاليات التي ينظمها حزبه، المنبر التقدمي، أو غيره من القوى السياسية ومنظمات المجتمع المدني، ففي نوفمبر من 2002 في المؤتمر العام الأول للمنبر التقدمي تمت تزكيته بالإجماع من قبل أعضاء المؤتمر رئيساً فخرياً للمنبر التقدمي.

سيظل أبو خالد نبراساً يضيء الدروب لكل المناضلين من أجل الديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية في بلادنا ومنطقتنا وفي البلدان العربية.

(قف)

وداعًا.. أحمد الشملان

قبل أيام قليلة غيّب الموت المناضل الوطني الكبير أحمد الشملان، الشخصية الوطنية المعروفة في داخل البلاد وخارجها، عن عمر ناهز ٨١ عامًا. في زمن المستعمر، كان الشملان أحد أولئك الشرفاء الذين حفروا في صخور البحر الصلدة، وعلى جدران البيوت المتهالكة «لا للمستعمر» و«نعم للتحرر والاستقلال الوطني والحرية والتقدم، وكسر قيود التخلف والرجعية».

فهد المضحكي

كان أشد المدافعين عن الثوابت الوطنية والقومية والأممية التي ظل متمسكا بها طيلة سنين عطائه، كان رمزا للاعتداد بالنفس، والالتزام بالمبدأ، والصبر والتواضع، كانت النزاهة من قيمه وشيمه دون ادعاء أو تظاهر، كان مناضلًا أمينًا نقيًا. يقول أحد الكتاب المغاربة إن النضال تضحية من أجل عدالة قضية وشرعيتها ووضوحها ولا تتأثر بانتماء لهذا الفصيل أو ذاك، وإلا تحول إلى مناصرة بعيدًا عن المفهوم الصريح للنضال، والمناصرة هنا هدفها مؤازرة الأفراد لا المبادئ وهذا تقويم وهدم للمفهوم النبيل للنضال، فالمبدأ يجب أن يبقى ثابتًا مطلقًا لا متغيرًا بتغير الأفراد والأحداث، فالحق حق أينما وقع، والباطل باطل بمفهومه العام، فهو كالداء الذي يفتك بالجسم بغض النظر عن صاحب الجسد. هكذا كان نضال وتضحية الشملان على امتداد تاريخه السياسي والفكري. ناضل في صمت وبتفانٍ وإخلاص، فلم يغره لمعان الأضواء والشعارات الطنانة، ولم يستهويه ترف الحياة وإغراءاتها.

كان في صلب نضالات الطبقة العاملة وسائر الكادحين، مدافعا عن قضيتها وعن مصالحها المادية والمعنوية. بهذا الوعي الوطني، وهذا الإيمان المتفائل بالمستقبل، آمن بقدرة الإرادة البشرية وقدرة الوعي الوطني والتقدمي على التغيير. من هذا جعل من حياته وفكره وقلمه قلاعا باسلة شريفة تدافع عن التحرر والتقدم والديمقراطية. هذه الصلابة في الموقف والمبدأ جعلته عرضة للسجون والمنافي، ففي الزنازين المظلمة الرطبة، لم يزده ذلك إلا وضوحًا في الرؤية السياسية والايديولوجية، وإصرارًا على مواصلة الطريق. في حياته الثقافية لم تنفصل مقالاته وحكاياته عن التراث الشعبي وأصالته وعن ربط الأدب بالحياة. كان معنى الأدب عند «الشملان» قيمة جمالية واجتماعية رفيعة.

له العديد من المقالات والدراسات النقدية. في كتابه «المحور والكتابة» الصادر عن دار الكنوز الأدبية عام 1999، يشير الناشر إلى أن الكتابات النقدية في القصة والرواية البحرينية والخليجية للأديب الشاعر «أحمد الشملان» نصوص إبداعية لها أفقها الخاص التي تتألف منها منظومة لغوية ومعنوية وموضوعية تخص ابتكار الكاتب، فهي إذن تبتكر مثل القصة والرواية والشعر وافتراضات واقعية ومتخيلة في الإبداع والواقع، وتأتي بشيء مختلف وجديد.. فأنت أمام خلق إبداعي يستحضر متشابهات ومتوازنات روائيه وقصصية مبتكرة وهو ابتكار مميز خاص.. حيث تخرج القصة من القصة والرواية من الرواية. وفي هذا الكتاب مفهوم مكتمل متخيل للرموز والأحداث والشخصيات كما فهمها الكاتب الشملان نفسه، كما يضيف إليها، ويضفي عليها من نكهته وروحه وصفته الإبداعية والفكرية.

في تقديمه لكتاب «مقالات في المسرح» للكاتب الراحل أحمد الشملان، الصادر عام 2005، يذكر الشاعر الكبير قاسم حداد، في ستينيات القرن الماضي، عندما كان أحمد الشملان في غمرة انهماكه النضالي، مارًا بالعاصمة اللبنانية بيروت، حمل إحدى قصائدي «الطوفان» إلى الدكتور سهيل إدريس مقترحًا عليه نشرها في مجلة (الآداب) بوصفي أحد التجارب الجديدة في البحرين. لكن الدكتور سهيل لم يقتنع لا بالاقتراح ولا بالقصيدة، الأمر الذي أدى إلى حوار محتدم بين الاثنين مبديًا أحمد الشملان حماسًا لم يفهمه الدكتور آنذاك، دون أن يتخلى أحمد عن ذلك الحماس. وأضاف: أذكر هذه الحادثة القديمة لكي أشير إلى ذلك الاهتمام والحماس الذي كان يتميز به أحمد الشملان عندما يتعلق الأمر بالأدب والكتابات البحرينية خصوصًا، وهي مسألة لن نصادفها كثيرًا لدى العديد من المثقفين المنخرطين في الممارسة النضالية طوال فترة الستينيات والسبعينيات (حتى الآن)، الظاهرة التي ستسفر لنا دائمًا الموقف المحرج الذي يتخذه مناضلونا من الأدب والفن، أفرادًا ومؤسسات.

غير أن أحمد الشملان لم يكن، برغم انهماكه بما عرف به من الممارسة النضالية بشتى تجلياتها، متحمسًا للأدب والفن فحسب، بل إنه كان قد بدأ باكرًا في التعبير عن نفسه بالكتابه الأدبية، حيث كان قد كتب منذ نهاية الستينيات تجارب شعرية بالغة الرقة والشفافية لم ينشرها طوال الوقت، حتى آن له أن يطبع جديده مع بعض قديمه في السنـــوات الأخيرة من القرن الماضي.

وقد كنت أقرأ له، عبر مراســلات تصلني منه يوم كان خارج البحرين. وكان يدور حوار متشعب ولا ينتهي بالسياسة، لكنه في كل الأحوال يتصل بالهواجس التي كانت تستحوذ علينا معا في حقول الهم العام. ويواصل حداد: وهناك يتوجب التأكيد بأن علاقتي بأحمد الشملان من الغنى والتنوع، بحيث يجوز لي القول دائمًا إنني قد أخذت منه درسًا مبكرًا في أخلاقيات المثقف المناضل، فكرًا وسلوكًا. وهي الطبيعة التي سيعرفها دائما من عرف أحمد الشملان عن كثب طوال تجربته الإنسانية البالغة الثراء والعطاء والبذل، في شتى حقول العمل.

وإذا أردنـا سبر التجربة، إنسانيًا وثقافيًا، يمكنني القول إن أحمد الشملان سيكون من بين المنسجمين مع ذواتهم حين يمتهن المحاماة، فهو أحد أبرز شخصيات جيله ارتهانًا بالدفاع عن الإنسان وحقوقه المادية والاجتماعية والسياسية، وهذه واحدة من الظواهر التي ستسفر لنا جانبًا مهمًا من جوانب شخصية أحمد الشملان. عندما رحل مناضل في قدر أحمد الشملان، تصبح الخسارة فادحة، خسارة للوطن وخسارة للقيم الوطنية والإنسانية. مات الشملان، ولكن فكره ومواقفه لم تمت. عزاء لرفيقة دربه الأستاذة فوزية مطر، وعزاء لأفراد أسرته ورفاق الدرب ومحبيه.

فـــــي وداع
أحمـــد الشمـــــلان

حميد الملا

في تلك المقبرة الواسعة بأم الحصم التي تقاطرعليها المشيعون، في ذلك اليوم من أيام الصيف اللاهبة، في الرابع والعشرين من يونيو ٢٠٢٤ اختلطت أصوات جموع المعزين المحتشدين بكثافة شديدة، في وداع أحمد الشملان المسجى برأسه المرفوع دوماً بجلال، وبنظراته الثاقبة.

هو ذا أحمد حتى وهو بعيد عن الحياة مسافة يوم واحد، لم يتغير كثيراً ولم يغير الموت ملامحه إلا ما يفرضه سلطان الحياة والعمر، ومع ذلك فإن كل من ألقى النظرة الأخيرة على جثمان أبي خالد شعر بفيض من الألم وبرغبة كبيرة في البكاء. أدركت حينها بأن هناك زوايا في حياة الإنسان يحتفظ بها دون غيره ولا يود البوح بها لأحد، حتى وهو في فراش الموت مسجى قبل الوداع الأخير. كيف أصبح الموت حقيقة تتحرك بيننا، أهي مفاجآت الحياة التي لا رادّ لها، إن الإنسان يجد نفسه داخل طاحونة شديدة القسوة، لا خيار له إلا المواجهة.

كانت الحياة بالنسبة لك، يا أحمد، سفراً دائماً وصعباً وسط الصعاب، التي تحملت قسوتها، فأكلت من صحتك الكثير، كانت الحياة، بالنسبة لك، ومنذ البداية، مهمة جدّية يجب أن ينفذها المرء بدقّة وخطورة ويبدأ العمل الشاق، وفي أحلك الظروف وأصعبها كما فعلت، فتحمّلت كل الخسارات، الكبيرة منها والصغيرة، التي لا يحسّها إلا المتضرر منها. حتى السجن الطويل تحمّلته بإباء ورجولة وصبر وشجاعة، ودفعت في سبيل ذلك ثمناً غالياً، وأنت تتنقل من سجن إلى سجن آخر، وبين كل سجن وسجن سجون أخرى، وبين كل منفى وآخر لا تبتعد سوى المسافات، وكنت كأي بطل شجاع عندما يجد نفسه أمام حرب عليه أن يخوضها بعزيمة وثبات.

في ذلك المكان المجلّل بالسكينة والهدوء، وفي ذلك التابوت شكّل أحمد حاسة المكان ونبضه فأصبح سيد اللحظة دون منازع. كيف لا وهو الذي كان دوماً سيداً لم يهادن ولم يستنجد أحـدًا، لا سلطة ولا سلطان، وفياً لأبعد الحدود لمبادئه، مخلصاً لرفاقه، جسوراً ومقداماً، لا يهاب الصعاب، حازماً وصارماً، لم ينحنِ في أي يوم من الأيام، وهو الإنسان المتفرع الأغصان، الذي يحتل مكانة لم يحتلها أحد، تمتد جذوره قوية متينة في تربته البحرينية، حتى ليخيّل إليك أن شيئاً في هذا العالم لا يمكن أن يزعزع ثباته الفكري الراسخ ولا يزحزح قوة إرادته الصلبة كروح بطولية رجولية العنفوان لم تكسرها الصدمات ولا الإخفاقات ولا الإنكسارات.

كم كنا نشتهي يا أحمد أن نوقف هذا النهر المتدفق بالحزن في دواخلنا عند هذا الحد لكننا لم نستطيع أمام رهبة الموت، وأمام قدرك الرفيع ومكانك المنيع وحياتك المليئة بالبطولات والتضحيات. كل العيون مصوبة نـحو الراقد في النعش بأبهة ووقار في صمت جنائزي زاد وجهه صفاء وبهاء والقلوب مثقلة بالحزن والأسى وبما لا تستطيع قوله في مثل هذه المناسبات سوى الحنق والغضب على من كان المتسبب في هذه الجلطات التي أصابت هذا الإنسان المرهف الإحساس لتقعده عن الكلام سنين طوال.

كان يوماً مشؤوماً يا رفيقي، يوم السكتة الدماغيّة القاسية في العام 1996 التي كادت أن تسرقك منا، لولا عطف القدر، وبعدها ما لحقها من جلطات أخرى. في الزيارة التيُ سمح لنا بها قبل رحيلك بأسبوع رأيت وجهك الوضاء الذي لم يفقد ألقه أبداً وسمعت أنفاسك وهي تبحث عن مستقر لها. لم تكن منتظمة لكنها تحسنت بالقياس للبداية عندما كنت في العناية الفائقة، فكنا نمني أنفسنا أن تعود إلينا وأنت معافى ولكن لم يمهلك سلطان القدر المحتوم.

صور قديمة وأخرى حديثة، فيديوهات تُرسل دون توقف، كلها تحكي سيرة نضالك الشاق الطويل، تعبر عن محبة الناس وإخلاصهم لك والترحم عليك، والوفاء لذكراك والفخر بتضحياتك وأنت الذي كنت مثالاً يحتذي به الآخرون في المجالدة والصبر والأمل ونكران الـذات والنبل والتسامح. ولتلك الخصال ولغيرها حضر في جنازتك أُناس من كل الطوائف والاتجاهات المختلفة، هذا التنوع الجميل احتفى بك كأنهم كانوا يعلمون بـأنّ هذا هو مـرادك، وحدّهم حضورك الطاغي والفيض الإنساني الذي تتمتع به، والمعنى الأخلاقي الذي أعطيته للحياة بفعل ما أنجزته من عطاء دون مقابل وبلا تردد، فالبطولات يصنعها من كانت قلوبهم مشرعة على حبّ الخير في أشدّ اللحظات تأزماً، فكنت مبادراً إلى كل ذلك مُلهماً للآخرين ومثالاً لهم في الصدق مع النفس دون مزايدات، بل بتواضع جم.

آثارك يا أحمد تنتصب أمام أعيننا ثرية وبوضوح جلي، مناضلًا من أجل الديموقراطية وحقوق الإنسان، وشاعراً وأديباً مرموقاً ومحامياً بـارزاً ومعروفً بدفاعه عن كل من يحتاج إلى مساعدة قضائية، فكانت لك صولات وجولات في المحاكم دفاعاً عن المعتقلين السياسيين، وكانت معاركك في سبيل الحق والعدالة جلية واضحة لا لبس فيها، فكنت تجمع بين شجاعة الموقف وشجاعة الكلمة، ووقفت حياتك كلها على الدفاع عن القيم والمثل الإنسانية النبيلة، وتحضر في أذهاننا مؤلفاتك الشعرية (زنابق العشق، رائحة في الذاكرة، ملفات الجزيرة العاشقة، الأخضر الباقي) وكتاباتك (أجراس الأمل) بجزئيه، وأنت القائل في إحدى قصائدك بديوان: «ملفات الجزيرة العاشقة»: «لن ترى قافلة الصمت عويلك/ عاشق أنت ومثواك رحيلك/

ربما نظرتك العطشى/ ينابيع/ وواحات/ وأسراب فراشات/ تناجيها الحرائق/ ربما أنت ...../

ولكن/ من ترى يدري بهمسك؟».

زاد ثقل الصمت على المكان ما أن تلاشت الكلمات الأخيرة، وبعد أن ودعنا أبا خالد إلى مثواه الأخير ونحن نجرّ أذيال الحزن واللوعة والأسى لنهايات كانت قاسية وصعبة على النفوس ولكن هي الحياة تمرّ بنا دون أن تلتفت إلى أحزاننا وفقداناتنا، وشعرنا حينها بحالة القفر التي تلف المكان وبالصمت الذي لا يُحتمل بعد أن غادر المعزون وتفرقوا جماعات وفرادى، ولكنك يا أحمد ستظل في قلوبنا رغم الغياب الجسدي فأنت الباقي بكل ما ملكت من محبين ومعجبين بقوتك وصمودك وطهارة روحك ونقاوة معدنك فقد أعطيتنا درساً في الكبرياء والتفاني، فلك الخلود يا أبا خالد رمز الوطنية والوفاء، ولزوجتك الوفية أم خالد ولولدك خالد وإبنتك سبيكة الصبر الجميل.

أحزاب وتنظيمات وجمعيات بحرينية وعربية

تعزي التقدمي برحيل رئيسه الفخري المناضل أحمد الشملان

تلقت قيادة المنبر التقدمي عدداً كبيراً من رسائل وبرقيات تعزية من أحزاب وتنظيمات سياسية عربية شقيقة، برحيل الرئيس الفخري للتقدمي الشخصية الوطنية المناضلة الرفيق أحمد الشملان، كما أصدر عدد من الجمعيات السياسية في البحرين بيانات نعي للفقيد وتعزية لعائلته ورفاقه ومحبيه، وتلقت قيادة التقدمي، أيضاً، رسائل تعزية من شخصيات وطنية بحرينية وخليجية وعربية، فضلاً عن مئات التغريدات والتعليقات على وسائل التواصل الاجتماعي التي عزّت بالفقيد وعددت مناقبه.

تعازي الجمعيات السياسية في البحرين

أصـــدرت العديد مـن الجمعيات والتنظيمات السياسية البحرينية، باتجاهاتها المختلفة، بيانات نعي للفقيد الكبير أحمد الشملان، كما بعث بعضها بالتعازي للمنبر التقدمي، الذي تلقى رسالة تعزية من الأخـوة في التجمع الديمقراطي القومي، أشادت بمناقب «القامة الوطنية الكبيرة والمناضل الوطني أحمد الشملان»، مؤكدة أن وفاته «تمثل خسارة كبيرة للحركة الوطنية والتقدمية، بعد مسيرة زاخرة من العطاء والتضحية والمواقف الوطنية المشرفة».

كما تقدّمت الأمـانـة العامة للأخوة في جمعية الوسط العربي الإسلامي، وجميع أعضائها «بأحر التعازي وأصدق مشاعر المواساة إلى المنبر التقدمي في وفاة المناضل والرمز الوطني الكبير الأستاذ أحمد الشملان سائلين المولى عزّ وجل أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته وأن يسكنه فسيح جناته ويلهمنا جميعاً الصبر والسلوان».

من جانبه تقدّم الأمين العام لجمعية التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، حسن المرزوق، وأعضاء التجمع بخالص العزاء والمواساة إلى عائلة الشملان الكرام وإلى الرفاق أعضاء المنبر التقدمي في وفاة المناضل الرفيق أحمد الشملان.

وأصدرت جمعية المنبر الإسلامي بياناً نعت فيه فقيدنا الكبير، معبرة عن «خالص العزاء إلى الشعب البحريني ولجمعية المنبر التقدمي ولعائلته وجميع أحبائ ، قائلة إن الفقيد "كرس حياته في النضال ضد المستعمر البريطاني والدفاع عن استقلال الوطن وقضايا الإصلاح والديمقراطية."

بدورها وصفت جمعية الوحدة الوطنية الفقيد في بيان نعي له بأنه «كان مثالاً للمناضل الصلب والمضحي من أجل الوطن والمبادئ والقيم التي آمن بها عبر مختلف المحطات والساحات النضالية التي خاض الراحل غمارها منذ الستينيات حين تم اعتقاله لأول مرة في العام 1965 لمدة سنتين بتهمة المشاركة في الانتفاضة العمالية في ذلك العام الذي سطع فيه نجمه النضالي».

وجـاء في البيان أن للفقيد "مسيرته الوطنية المشهودة التي تبوأ من خلالها موقعاً قيادياً في تأريخ الحركة الوطنية في البحرين وكأحد أبرز الناشطين السياسيين البحرينيين مهموماً بقضايا الوطن وقلماً بـارزاً كتب عشرات المقالات في الصحافة المحلية والخليجية والعربية كاتباً شجاعاً ترك بصماته الواضحة والمؤثرة في صناعة الوعي الوطني في مملكة البحرين".

الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين

وبعث الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين برسالة تعزية للتقدمي، عبّر فيها عن خالص العزاء والمواساة برحيل أحمد الشملان، المناضل الوطني البارز الذي سخر جل حياته في النضل والكفاح من أجل رفعة هذا الوطن وتقدمه وعزته، فكانت له بصمات مشرفة لا تنسى في كل منعطف وكل حـدث تاريخي على المستويين الوطني والعربي. وأضحى اسمه ملازماً لأي عمل وطني وحدوي على امتداد مسيرة العمل الوطني الحافل.

كتلة تقدّم البرلمانية

كتلة «تقدّم» البرلمانية المناضل – الرمز أحمد الشملان، «أحد أكبر وأهم الرموز الوطنية في بلادنا الغالية البحرين»، قائلة إن الراحل الكبير عرف «بمبدئيته العالية وصلابة مواقفه تجاه مصالح أبناء شعبه ووطنه وأمته، وعلى الخصوص وقوفه إلى جانب الفئات الكادحة»، ووصفته «بالمناضل الأممي صاحب التاريخ الناصع، فحتى بعد إثر إصابته بجلطة دماغية في عام 1996 لم تزده المحن إلا تمسكاً بمبادئه التي استمر في الدفاع عنها منخرطاً في صفوف المنبر التقدمي والحركة الوطنية حتى آخر يوم من حياته».

الحركة التقدمية الكويتية

ومن دولة الكويت الشقيقة، نعى رفاقنا وأشقاؤنا في الحـركـة التقدمية الكويتية الرفيق الشملان «الذي أمضي حياته منذ صباه في النضال الوطني والديمقراطي، وتعرض للاعتقال والسجن مرات عديدة ولسنوات طويلة»، في بيان نعي أصدرته الحركة استعرضت فيه المسيرة الكفاحية الحافلة للفقيد على مدار عقود.

وجاء في البيان: «إنّ الحركة التقدمية الكويتية وقد آلمها رحيل الفقيد الكبير فإنها تتقدم بخالص العزاء لأرملته الأستاذة فوزية مطر «أم خالد» ولأسرته وأصدقائه ورفاقه في «المنبر التقدمي» والحركة الوطنية البحرينية والحركة الوطنية الكويتية والجماعات والعناصر الوطنية في بلدان الخليج والجزيرة العربية."

المنبر الديمقراطي الكويتي

ومن الكويت أيضاً تلقى الأمـين العام للتقدمي الرفيق عادل متروك من الأخوين بندر الخيران رئيس

اللجنة المركزية للمنبر الديمقراطي الكويتي والمهندس عبدالهادي السنافي الأمين العام للمنبر، تقدّما فيها باسم جميع زملائهم بخالص العزاء بوفاة الرفيق الشملان «الذي سخر حياته لخدمة وطنه وشعبه سعياً لتطور أمته والمطالبة بالعدالة الاجتماعية المستحقة. والذي لم تكن كل المعوقات والاعتقالات التي عانها عائقاً أمام المضي بمسيرته الوطنية الصادقة».

تعازي من الأحزاب الشقيقة في لبنان والأردن وفلسطين ومصر

كما تلقت قيادة المنبر التقدمي رسائل تعزية ومواساة من عدد من الأحـزاب الشقيقة في البلدان العربية، ومن منظمات قومية، بينها المؤتمر القومي العربي، واتحادات نقابية وشخصيات وطنية مستقلة.

فمن لبنان عبّر الرفيق حنا غريب، الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني عن أحرّ التعازي إلى قيادة وأعضاء المنبر التقدمي لرحيل المناضل الشملان، وعـبّر الرفيق غريب عن وقـوف الرفاق اللبنانيين إلى جانب عائلة وأصدقاء الراحل، وعن «التضامن الرفاقي والتقدير العميق لنضالاته وتضحياته، التي لعبت دوراً مهماً في تقدّم وتجـذّر النضال الوطني والديمقراطي والتقدمي في بلدكم الشقيق».

ومن العراق اكّد الرفيق رائد فهمي، السكرتير الأول للحزب الشيوعي العراقي على أحر التعازي برحيل الشخصية الوطنية البارزة في البحرين والرئيس الفخري للمنبر التقدمي، المناضل الكبير أحمد الشملان، مشيراً إلى ما احتله الرفيق الراحل من «مكانة مرموقة في الحركة الوطنية والديمقراطية منذ بواكير شبابه، اذ انغمر في النضال الثوري ضد الاستعمار البريطاني في البحرين والخليج العربي. وواصل مسيرته النضالية في جبهة التحرير الوطني في البحرين، ولعب دورا بـارزا في الحـراك الشعبي والمطالبة بالحقوق الديمقراطية والدستورية. ولم تثنه الملاحقة وفترات النفي والسجون عن مواصلة النشاط بعزم وثبات في الحركة الوطنية. والى جانب دوره البارز في العمل السياسي والحقوقي، تميّز الراحل بنتاجاته الإبداعية في مجال الادب والثقافة».

وأشار الرفيق فهمي إلى أن غياب المناضل الشملان «خسارة كبيرة للمنبر التقدمي وللحركة الوطنية في البحرين والمنطقة، لكن مآثره النضالية ستبقى ملهمة لكل المناضلين من أجل الحرية والديمقراطية والتقدم الاجتماعي، كما عبّر عن «خالص العزاء والمواساة لزوجة الفقيد الكبير، الاستاذة فوزية مطر، ولأفراد عائلته ورفاقه في المنبر التقدمي وجميع محبيه».

ومن الأردن عبّر الرفيق سعود القبيلات الأمين العام للحزب الشيوعي الأردني عن تلقي الحزب «بأسى بالغ وحزن عميق نبأ رحيل القامة التقدمية السامقة، والشخصية اليسارية البارزة، الرفيق طيب الذكر وصاحب السيرة الكفاحية المجيدة، الرئيس الفخري للمنبر التقدمي المناضل أحمد الشملان»، معبراً عن مشاطرة الحزب «الشعور بالخسارة الفادحة التي ألّمت بالحركة التقدمية في البحرين والعالم العربي بأسره برحيل الرفيق أحمد الشملان، ويتقدم منكم بأحر مشاعر العزاء والمواساة، راجياً نقل التعازي ومشاعر المواساة والتعاطف الحارة مع أسرة الفقيد العزيز، وخاصة الفاضلة زوجته أم خالد وأبنائه خالد وسبيكة.

ومن الأردن أيضاً عبّر الدكتور عصام السعدي عضو الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي عن بالغ الأسى والحزن «لرحيل المناضل التحرري الطليعي الرفيق أحمد الشملان الرئيس الفخري للمنبر التقدمي، وقال في رسالة تعزيته للتقدمي: «نشارككم الحزن والعزاء برحيل هذا المناضل القومي العربي، الذي غادرنا بعد حياة طويلة، حافلة بالنضال ضد الاستعمار وأدواته بالبحرين والمنطقة، وعزاؤنا أنه ترك لنا نهجاً ومدرسة نضالية عروبية تحضى بالاحترام والتقدير».

ومن فلسطين بعث الرفيق بسام الصالحي الأمين العام لحزب الشعب الفلسطيني برسالة تعزية ومواساة للمنبر التقدمي بفقدان الرفيق المناضل الرفيق أحمد الشملان، واكدّ الرفيق الصالحي إن حزب الشعب الفلسطيني إذ يشاطر التقدمي وعائلة الفقيد «الحزن والألم لهذا الفقدان الكبير الذي يعتبر خسارة كبرى للحركة الوطنية البحرينية وللحركة التقدمية والثقافية البحرينية والخليجية خاصة والتقدمية العربية عامة، فإننا على ثقة تامة أن رفاق الفقيد سيواصلون السير على الدرب الذي سار عليه الفقيد الكبير|.

ومن فلسطين أيضاً تقدّمت جبهة النضال الشعبي الفلسطيني بتعازيها ومواساتها الحارة برحيل الرفيق الشملان، إلى المنبر التقدمي ولأسرة ورفـاق الفقيد الكبير، في رسالة بعثها للتقدمي الرفيق محمد علوش، عضو المكتب السياسي للجبهة، باسم أمينها العام أحمد مجدلاني وقيادة الجبهة، قائلاً إن رحيل الرفيق الشملان خسارة كبيرة للحركة الوطنية والتقدمية في البحرين، وهو الذي مثّل عنواناً من عناوين النضال من اجل الديمقراطية والعدالة وكرامة الشعب البحريني، مؤكداً على الثقة بأن التقدمي سيواصل النضال على خطاه وعلى خطى القادة المناضلين المؤسسين لتحقيق الأهداف النبيلة وبناء الاشتراكية.

ومن مصر تقدّم المكتب السياسي للحزب الشيوعى المصرى بخالص التعازي للمنبر التقدمي وللشعب البحريني لرحيل القائد الوطني البارز، ورئيسنا الفخري المناضل أحمد الشملان «بعد حياة نضالية وكفاحية وطنيّة طويلة من اجل وطن بحريني تقدمي يتسم بالعدالة الاجتماعية لاسعاد ورفاهية الشعب البحريني..لقد تابعنا الإجماع الشعبي والرفاقي على حب الرفيق أحمد الشملان والـذي ظهر جليا أثناء جنازته وعـزاؤه.. نشدّ على اياديكم ونعزيكم رفاق وعائلة الفقيد.“

المؤتمر القومي العربي

ونعت الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي المناضل والمحامي والسياسي والكاتب الأستاذ أحمد الشملان الـذي «حضر أول دورة للمؤتمر القومي العربي عام 1994، ورغم ظروفه الصعبة من اعتقال ومرض، واظب على مواكبة مواقف المؤتمر وأعماله».

واستعرض البيان بالتفصيل كافة المحطات النضالية للمناضل الراحل، مشيرة إلى أنه ”في العام 2002 تمّ تعيينه الرئيس الفخري لجمعية المنبر التقدمي اليسارية، وهو عضو في جمعية المحامين البحرينية وفي أسرة الأدبـاء والكتاب وتولى بهما مناصب إدارية أكثر من مرة. كما كان عضواً مؤسساً لمركز البحرين لحقوق الإنسان في عام 2002، مشيراً إلى أن الراحل نال العديد من الجوائز وأقيمت له عدّة مناسبات تكريمية، ففي نوفمبر 2007 أقامت صحيفة الوسط البحرينية حفلا تكريميا للشملان وذلك ضمن برنامجها لتكريم المبدعين والمثقفين والشخصيات الوطنية في البحرين، كما قررت الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان استحداث جائزة باسمه وهي ”جائزة أحمد الشملان لحقوق الإنسان.

منظمات نقابية وشبابية عربية

وتلقت قيادة التقدمي برقيات ورسائل تعزية من منظمات حقوقية ونقابية وشبابية عربية، فمن لبنان عبّر النقابي البارز كاسترو عبدالله رئيس الاتحاد الوطني لنقابات عمال ومستخدمي لبنان عن أحرّ تعازي الاتحاد بوفاة رفيقنا أحمد الشملان، وتقدير الحركة النقابية اللبنانية لدوره وتضحياته، كما عبر اتحاد الشبيبة الشيوعية الفلسطينية في محافظات قطاع غزة عن أحر التعازي وأنبل مشاعر المواساة بخسارة قائد من قادة الفكر التقدمي والسياسة والأدب والشعر والنضال الثوري.

وقال سكرتير الهيئة المركزية للاتحاد، محمود أبو يوسف، في رسالته للتقدمي: نودع اليوم مناضلاً ثورياً عنيداً، وقامة فكرية وأدبية وعلمية خلاقة ومبدعة، كتب مسيرته المشرفة بالنضال والعطاء والكفاح المستمر وبعزيمة قوية من أجـل التحرر الوطني والطبقي والتقدم الإنساني».

غسيل الأمـــوال

«غسيل الاموال» ظاهرة نسمع بها، لكن قد لانستوعب أخطارها، حيث انها حرب اقتصادية اجتماعية تتغلغل فى المجتمعات، ومصادر هذه الأموال طريق الشيطان المسلط على رقاب البشر وهي أموال محرمة نتيجة المصدر، من نوع تجارة الأسلحة والمخدرات كالحشيش والافيون أو من التجارة بالرقيق الابيض وغيرها، هذه الأموال لاتقبلها البنوك في جميع دول العالم، ولهذا تحتاج الى ما يسمى بالغسيل لأنها تشبه القاذورات، ولإعادة استخدامها يفضل دخولها في المصارف تحت رقابة الدولة للتأكد من مصدرها، فإذا كان هذا المصدر غير نظيف فهي لاتقبل، لكن عدم تقبلها من قبل المصارف التي تكافح التعامل بها، حيث أنها إذا دخلت المصرف اكتسبت صفة النظافة، واتفقت الدول مجتمعة على مكافحة غسيل الأموال منذ معاهدة فينا في ١٩ ديسمبر ١٩٨٨، وانشاء قوة العمليات المالية واصدار التوصيات لمكافحة غسيل الأموال لكل الدول بما فيها الدول العربية والخليجية، كل ذلك يطول به الشرح وسوف نتطرق إلى الأثار الاقتصادية لأنشطة غسيل الأموال على التالي:

غازي العلوي

الدخل القومي.
توزيع الدخل الوطني.
الإدخار المحلي.
معدل التضخم.
قيمة العملة الوطنية.
معدل البطالة.

يعتبر غسيل الأموال جريمة تهدد استقرار الاقتصاد المحلي في الدولة المعنيّة، كما تهدد الاقتصاد العالمي ، حيث تتم من عمليات مشبوهة، كتجارة تهريب السلاح أو المخدرات، كما أشرنا، وحتى من فساد سياسي وعمولات ورشاوي، كما يدخل ضمن الأسباب فرض الضرائب والرسوم العالية على الأنشطة الاقتصادية، بصورة لاتتفق مع المنافع العامة ولاتستخدم حسب عدالة توزيع الدخل القومي بشكل عام، وتصعيب الخدمات العامة والتراخيص التجارية مما يدفع إلى التحايل على القانون ، وتشمل الأسباب ايضاً التجارة في الفنادق والنوادي في المحرمات، ومنها المخدرات والدعارة والقمار وجميع مصادر الدخل غير المشروعة التي تشكل خطراً اجتماعياً.

طرق غسيل الأموال

ايداع المال الوسخ في البنك أو في شركات مالية ومؤسسات محلية وحتى خارجية ، ومن ثم شراء اسهم وعقارات بهذا المال الوسخ، وحتي بيع وشراء السيارات المستعملة، فبعد ادخال الأموال البنوك يتم التمويه على مصدرها الاصلي واخفائه، وتبقى مجهولة المصدر وبهذا تم غسلها حيث تم دمج الأموال الشرعية مع الأموال القذرة، وهذه الشركات التجارية الوهمية، محلية وأجنبية، تدخل البلد باسم مستثمر في تجارة وهمية برأسمال مصدره غير شرعي، وهذه البنوك والحكومات حسب القانون ليسى لها الحق في الاطلاع على مصدرها أو على دفاتر المعاملات الأصلية، خصوصا من بعض الدول التي يطلق عليها (الملاذ المصرفي) منها سويسرا، البهاما، مناك، النمسا، هولندا واخرى غيرها في امريكا الجنوبية . مع تطور الاتصالات والانترنت والأرقام المستخدمة في غسيل الأموال أصبح غسيل الأموال أوسع وأوسهل على أصحاب الأعمال، لسهولة نقل الأموال القذرة من بلد لاخر وغسيلها عن طريق شراء العقارات والذهب والمجوهرات ثم بيعها بأسعار ولكن بين الاشخاص أنفسهم بنفس الطريق وبأسعار مرتفعة، وتدخل البنك على أنها من مصدر تجاري مشروع، ويتم التعامل بالشيكات

المصرفية بالقيمة المتفق عليها ويتم فتح حسابات في المصارف بقيمة هذه الشيكات المتعامل معها ومصدرها أشخاص «محترمون».

الدراسة تبين أن العوائد من بيع السلاح تقدر بمليار دولار وتأتي في الدرجة الأولى، تليها في الدرجة الثانية عائدات الأموال القذرة بما يفوق 500 مليار دولار أمريكي، وهذه حسب تقارير صادرة من الأمم المتحدة، ناهيك عن أموال الاحتيال المالي وتجارة الرقيق الأبيض والفساد السياسي وغيرهما من الجرائم، ومن يتتبع ما يصدر عن صندوق النقد الدولي من معلومات عن الأموال التي يتم غسلها، سيعرف أن كمية القاذورات التي تمر عبر غسالات النظام الاقتصادي العالمي لا يمكن حصرها لكثرتها، وهذه الأموال تهدد النظام الاقتصادي العالمي بعد ما تخرب الاقتصاد الوطني للدول .

الحسابات المصرفية في كل دولة لها سرية وعقود موقعة بين العميل (الزبون) والمصرف، لهذا لا يمكن كشف عمليات غسيل الأموال، وهنا يأتي دور الأنظمة والقوانين التي تحمي الفرد في المجتمع، كما أن الدولة تسعى نحو مكافحة غسيل الأموال القذرة، ولكن المرتبطين بالجريمة المنظمة محترفون في عملهم، وكلما زادت مكافحتهم مع تطور العلم وظهور العولمة زادت شراستهم في غسيل الأموال وتخريب الاقتصاد، مع اهتمامهم بجدوى استثماراتهم واعادة تدوير الأموال بما يخالف كل القوانيين الاقتصادية الصحيحة، حيث أن «غاسلي» الأموال القذرة لا ينظرون إلى تحقيق الربح التجاري بل إلى كيفية استبدال المال القذر بمال بطريقة مسموح بها من الدولة، مما يخلق منافسة غير متكافئة مع التجار الوطنين في التجارة السليمة حيث الأموال المغسولة تؤثر على أسعار الفائدة وأسعار الصرف، ويؤدي غسيل الأموال على المستوى الدولي إلى انتقال رؤوس الأموال من الدولة ذات السياسة الاقتصادية السليمة ومعدلات الفائدة المنخفضة الى التاثير على استقرار اسواق المال الدولية.

بعض هذه المشاكل نجدها في دول عربية وخليجية، التي أصبحت فيها بعض شركات توظيف الأموال تساهم في حدوث ظاهرة غسيل الأموال، عندما تتجه هذه الشركات الى جمع أموال المودعين وتحويلها للخارج، يعني تسحبها من الدخل القومي لاستثمارها في دول اجنبية. وهذا يزيد من الاستهلاك ويرفع مستوى الأسعار في البلد المعني، كما يحدث غسيل الأموال بشكل عيني في صورة شراء سلع معمرة، اراضي وعقارات مما يسبب نقص الإدخار المحلي.

الآثار الاقتصادية لأنشطة غسيل الأموال

ينجم عن السماح بعمليات غسيل الأموال أخطار جمّة على الاقتصاد، ومن هذه الأخطار:

خطر على الدخل الوطني (القومي): الملاحظ أن الدول لا تسمح باخراج العملة الوطنية خارج الحدود، حيث تعتبر الأموال الخارجة من المصرف الوطني إلى المصارف الأجنبية في خارج البلد استقطاعاً من الدخل القومي للدولة التي أصدرت هذه الأموال، حيث أن خروجها بطرق غير مشروعة يحرم هذه الدولة من الفوائد المراد الحصول عليها من تشغيل هذه الأموال داخل البلد، مما يحرم تشغيل العمالة وتدريبها وزيادة المعروض السلعي، عندما يتم غسيل الأموال لا تؤخذ عليها ضرائب عند تهريبها من الدولة، وبهذا تنخفض الموارد المتاحة لتمويل البرامج الاقتصادية الكلية ويتضح ذلك عندما ننظر إلى رقم الناتج المحلي، وارتفاع نسب البطالة وحسابات تظهر غير صحيحة مما يؤدي بصعوبة للسلطات الاقتصادية في اتخاد السياسات السليمة وبهذا لايسطيع متخذ القرار الاقتصادي تحريك النشاط الاقتصادي بالشكل المطلوب حيث أكثر الأنشطة لا تدخل ضمن الحسابات المعلنة وتصبح غير معروفة ولايمكن التحكم فيها.

الدخل الناتج من غسيل الأموال القذرة أو غير شرعية يزيد من دخل الأفراد العاملين في هذا الطريق الممنوع، فيحصلون على أموال لايستحقونها في الوقت الذي لايحصل اصحاب الدخل المشروع على زيادة مناظرة ، مما يؤدي إلى اختلال توزيع الدخل القومي وتنفاقم المشاكل الاجتماعية.

تعتبر الأموال القذرة منافية للقوانين والتشريعات والأخلاق والقيم والديانات والمبادئ. كل هذه الأموال آتية من مصدر فساد، كتجارة المخدرات والدعارة وسواها من تجارات غير مقبولة، تحدث اختلالاً في الدخل الوطني حيث تؤثر على السياسات الاقتصادية المعتمد عليها في صنع سياسات الدولة، خصوصاً عند انعدام الشفافية، وعندما نصنع سياسات خاطئة يؤثر على معدل النمو الاقتصادي، ومعدل البطالة، ومعدل التضخم، واحصائيات ميزان المدفوعات، لأن كل هذه الأنشطة المذكورة ليست مسجلة في وزارات الدولة وتعتبر خارج السيطرة وتؤثر تأثيراً سلبياً على توزيع الدخل القومي.

هذه الفئة من الناس تحصل على دخل دون وجه حق من أعمال غير مشروعة حيث هذا الدخل يتم انتزاعه من الفئات المنتجة العمال والمزارعيين والكسبة من مختلف الأعمال الشريفة المشروعة.

المتعاملين في غسيل الأموال لايدفعون ضرائب دخل وبهذا يكونون سراق حقوق الدولة من الخزينة المعتمد عليها في تأمين وتمويل الخدمات الاجتماعية للطبقات الفقيرة، لأن هذه الضرائب التي لا تدخل في ميزانية الدولة تحدّ من قدرة الدولة على إعادة توزيع الدخل الوطني بعدالة مما ينتج عنه سوء توزيع الموارد الاقتصادية في المجتمع.

الإدخار المحلي يتأثر بعملية غسيل الأموال نتيجة العلاقة العكسية بين الإدخار وغسيل الأموال، حيث أن هروب الأموال المغسولة إلى خارج البلد يقلل المدخر منها والذي يجب توجيهه للاستثمار، وتعتبر أعمال غسيل الأموال سلاحاً ذا حدين، فأموالها إما أن تهرب أو تنفق في شراء الأراضي والعقارات والمضاربات والتحف واللوحات والذهب والترف في أمور لاتفيد المجتمع حيث تقلل من وظائف الأموال، كوسيلة للدخار ووسيلة للتداول وهذا يودي الى عجز الحكومات عن الصرف على تمويل البرامج الأستثمارية ويقلل من التشغيل ويقلل معدل النمو الاقتصادي.

لو نظرنا وحلل إلى ظاهرة غسيل الأموال والتضخم لستنتج المحلل لوجدنا غسيل الأموال يزيد دخول المشتغلين فيه على دخول كبيرة دون زيادة في الإنتاج من السلع والخدمات مع نقص إيرادات الدولة من الضرائب والرسوم وهذا يساهم في عجز ميزانية الدولة وبالتالي ارتفاع الأسعار المحلية والعالمية.

أثر غسيل الأموال على العمالة الوطنية حيث قيمة العملة الوطنية تتأثر بعملية غسيل الأموال، حيث أن المجرمين الحاصلين على الأموال بعد غسلها يتم تحويلها الى عملات أخرى، دولار أو يورو أو غيرها، وبهذا العمل في تغير العملة تسحب مبالغ كبيرة ويزيد الطلب عليها مع انخفاض الطلب على العملة الوطنية، مما يؤدي الى انخفاض قيمتها وتدهورها ويصبح الدينار أو الدرهم اسميا دينار أو درهم، لكنه فعليا لا يساوي تلك القيمة.

البطالة لها علاقة كبيرة بغسيل الأموال، بشكل ظاهر في الدول النامية كذلك الدول الصناعية، حيث أن هروب الأموال من الدول عن طريق معاملات مصرفية وتحويلات يعطل وظيفة التداول للعملة بين ايدي افراد الشعب كذلك إذا كانت وجهة الأموال المغسولة للاكتناز في البنوك المحلية أو الاجنبية الداخلية والخارجية تتعطل وظيفة التداول وتعطل الدخل القومي من الاستثمارات.

– الفساد السياسي حينما تتسرب الأموال المغسولة من الدول الممنوحة من الدول الأخرى أو المعونات الأجنبية والعربية والخليجية بشكل مساعدات أو قروض الى جيوب المفسدين بدلاً من استثمارها في مشاريع انتاجية التي تزيد من التوظيف وتخفض من البطالة. النتائج ترشدنا إلى أن غسيل الأموال قد يأتي من دول خارجية مكتنزة في جيوب مواطنين في دول خارج الوطن العربي المتعاملة في زراعة الحشيش والأفيون والماريجوانا وغيرها، ولا يستطيع أصحابها من أفراد العصابات المنظمة تداولها في تلك الدول، فتدخل دول أخرى في شراء بضاعة ونقلها لدولهم بشكل تجارة أو التعامل في اسواق العملة أو البورصة وتتداول عن طريق الاستثمارات في الدول المحتاجة وهؤلآء التجار يشكلون خطراً عالمياً .

لماذا يبقى النـــاس فقـــراء؟

هناك تفسيران رئيسيان لسبب استمرار الفقر: أحدهما يقول إن الأمر يتعلق بالاختلافات في قدرات الناس ودوافعهم، والثاني يؤكد الاختلافات في الفرص. دراستنا تؤكد الاستنتاج الثاني وتبين مخرجا من "مصيدة الفقر».

للقضاء على الفقر العالمي، من الضروري فهم الأسباب التي تسببه. ومع ذلك، فإن هذا الفهم معقد بسبب حقيقة أن الأسباب المختلفة تمامًا تؤدي إلى نفس النتيجة. والسياسة التي تنجح في إزالة سبب ما قد تكون عديمة الجدوى، إن لم تكن ضارة، لسبب آخر.

حسين الشويخ

لكن يمكن تقسيم جميع أسباب الفقر بشكل مشروط إلى مجموعتين رئيسيتين. أولاً، الفقر يولد الفقر. يعتبر هذا المفهوم الفقر فخًا – وقد درس الباحثون بعناية المسارات المؤدية إليه ، من التغذية والصحة البدنية والعقلية ورأس المال البشري إلى سلوك الادخار والاستثمارات المتهورة جنبًا إلى جنب مع قيود الائتمان. إذا كان الفقر بحد ذاته هو سبب الفقر، فإن إنهاء الفقر إلى الأبد سيتطلب استثمارات كبيرة لمرة واحدة – مثل تحويل الأصول، أو الرسوم الدراسية ، أو قروض الطلاب – أشياء يمكن أن تساعد في الخروج من هذا الفخ.

المجموعة الثانية تشير إلى أسباب الفقر الفطرية الخصائص البشرية أو البيئة الاقتصادية التي تؤدي إلى الفقر. إلى الحد الذي لا يمكن فيه تغيير هذه الخصائص أو التعويض عنها، فإن الفقير محكوم عليه بالبقاء فقيرًا. من وجهة النظر هذه ، فإن تأثير المدفوعات لمرة واحدة التي تهدف إلى التغلب على الفقر سوف يختفي بمرور الوقت دون تغيير أي شيء، وبالتالي فإن أفضل طريقة هي دعم دخل واستهلاك الأسر الفقيرة بانتظام.

إن تحديد المواقف والجماعات التي تحدث فيها مصائد الفقر من الناحية النظرية قد حفز قدرًا كبيرًا من البحث التجريبي. على سبيل المثال، لا يجد تحليل الملاحظات الجماعية للمزارعين في العديد من البلدان (الصين والمجر وباكستان وإثيوبيا والهند) أي دليل على تأثير عتبة الفقر على ديناميكيات الدخل والثروة ، بينما دراسات أخرى لبعض البلدان (جنوب إفريقيا وكينيا ومدغشقر وإثيوبيا) توثيق وجود مثل هذه التأثيرات العتبة – أي مستوى معين من الأصول (مثل حجم القطيع) يمكن للأسر أن تزيد دخلها، وأن تحصل على وظائف أفضل، وتخرج من دائرة الفقر، وهي ليست كذلك دون هذا المستوى.

هناك أيضًا بَيِّنَة ظرفية تدعم وجود تأثيرات مصيدة الفقر في بعض البيئات. على سبيل المثال، يكون المزارعون الذين يعيشون في فقر مدقع أكثر عرضة للمخاطرة عندما تقترب أصولهم من الحد الأدنى، وهو سلوك يشير إلى محاولة الخروج من مصيدة الفقر أو تجنب الوقوع فيها: الأسر القريبة من عتبة الفقر معرضة للخطر بسبب يمكنهم أن "يفشلوا" بعد هذه العتبة في حالة حدوث أي صدمات سلبية.

دليل آخر: القروض الصغيرة للأسر الفقيرة غير فعالة في المتوسط، لكنها مفيدة في العادة.

الأسر التي تمتلك بالفعل أصولًا كبيرة نسبيًا، إذا كان هناك حد أدنى من الإنتاج المربح يتوافق مع عتبة الأصول التي لا تستطيع معظم الأسر تحقيقها.

أخيرًا، تُظهر البرامج الشاملة التي تستهدف الشرائح الأكثر فقرًا من السكان ، والتي تقدم مزيجًا من تحويلات المبلغ الإجمالي للأصول الكبيرة، والتدريب، والائتمان، والدعم الصحي، تأثيرًا دائمًا ومستدامًا في مجموعة واسعة من البلدان، ويستمر حتى عشر سنوات.

واستندت خطة البرامج المماثلة التي بدأتها منظمة المجتمع البنجلاديشي غير الربحية أيضًا إلى فكرة شرك الفقر، ويوحي النجاح المستمر لهذه البرامج بأن هذه الفكرة صحيحة.

أثر عتبة الفقر

تجري الدراسة اختبارًا مباشرًا لفخ الفقر. وقد حدث ذلك في 1309 قرية في شمال بنغلاديش، وهي منطقة تتميز بمستويات عالية من الفقر المدقع وانعدام الأمن الغذائي وخيارات مهنية محدودة للغاية. تم جمع البيانات من 6000 مستفيد من برنامج BRAC ، الذي يستهدف أفقر الفئات وأكثر من خمس موجات مسح بين عامي 2007 و2018. تم توزيع البرنامج بشكل عشوائي، حيث تم تسجيل نصف المستفيدين في عام 2007 والباقي في عام 2011 للفترة 2007–2014 بالإضافة إلى ذلك، قامت المنظمة بجمع بيانات حول ما مجموعه 23000 أسرة تمثل جميع سكان الريف. في الأساس، قامت الدراسة بتوثيق استمرار الفقر المرتفع في المجموعة الضابطة والتسلسل الهرمي المهني الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بثروة الأسرة. يعمل الأفقر في وظائف منخفضة الأجر وغير منتظمة وعارضة

في الزراعة أو الخدمات المنزلية، بينما يعمل الأغنياء لحسابهم الخاص، ويربون الماشية ويزرعون أراضيهم.

يُظهر توزيع الأصول الإنتاجية عند خط الأساس ثنائية واضحة: أصول مجموعة واحدة من الأسر تقترب من الصفر، والمجموعة الأخرى لديها أصول كبيرة، ولا توجد مجموعات وسيطة تقريبًا. قد يكون هذا مؤشرا على شرك الفقر ، ولكن أيضا للفقراء الذين يقومون بأعمال غريبة وليس لديهم أصول بسبب افتقارهم إلى المواهب.

بينما في كلا التفسيرين تكون النتيجة في التوازن وخارج التوازن تختلف الديناميكيات اختلافًا جذريًا، من حيث وجود مصيدة فقر ، سيؤدي التحويل الكبير إلى زيادة الأصول في الفترات اللاحقة ومن وجهة نظر بديلة، لا تؤدي التحويلات إلى زيادة الدخول، وبالتالي ستستمر الأصول في النضوب في فترات لاحقة.

ندرس تأثير عمليات نقل الأصول، التي كانت جزءًا من برنامج لجنة تطوير الريف في بنغلاديش لدعم الفقراء، لاختبار أي من المنظورين المتنافسين حول الفقر المستمر هو الصحيح.

ينقل برنامج BRAC الأصول الكبيرة (الأبقار) إلى أفقر النساء في القرى، وقيمة التحويل تجعل نسبة كبيرة من الأسر من الفقر المدقع إلى نقطة أدنى الأصول. نظرًا لوجود اختلافات صغيرة في البداية بين المستفيدين من البرنامج في مقدار الأصول المتاحة بالفعل، في ظل وجود مصيدة فقر، سيختلف تأثير النقل بالحجم نفسه: بالنسبة لأولئك الذين يتجاوزون عتبة الفقر، مثل هذا التحويل سوف يسمح لهم بالانتقال إلى الأنشطة الإنتاجية والخروج من الفقر ، في حين أن أولئك الذين هم تحت خط الفقر لن يتمكنوا من القيام بذلك. يمكننا التحقق من هذه التوقعات ، بفضل موجات الاستطلاعات ، في الأفق حتى 11 عامًا. وجدوا الباحثون أنه بالنسبة لأولئك الذين تلقوا التحويل، اختلفت ديناميكيات الأصول على مدى السنوات الأربع التالية: فالأسر التي كانت أصولها الأولية منخفضة لدرجة أن التحويل لم يكن كافياً لانتشالهم من الحاجة الماسة كانوا أكثر عرضة للانزلاق مرة أخرى إليها، في حين أن أولئك الذين تمكنوا من تجاوز العتبة، خرجوا من الفقر.

نحدد عتبة الأصول التي تتراكم فوقها ثروة إضافية للأسر والتي تحتها تقع مرة أخرى في براثن الفقر بمبلغ 500 دولار عند تعادل القوة الشرائية. الأسر التي كانت تمتلك أصولاً أقل إنتاجية في عام 2007 (34 ٪ من المستفيدين) كان لديها أقل من أربع سنوات بعد ذلك.

ما هي الآليات التي تدفع ديناميكيات الأصول هذه وتدفع الناس مرة أخرى إلى براثن الفقر؟

يُظهر التكوين الأساسي لأصول الأسرة أن الأسر الأكثر ثراءً لا تمتلك فقط أصولاً أكبر ، ولكن أيضاً أغلى ثمناً (الأبقاروالأراضي) تمثل هذه الأصول الباهظة الثمن استثمارًا غير قابل للتجزئة لا تستطيع الفئات الأفقر من السكان تحمله. على سبيل المثال ، يبلغ متوسط سعر البقرة 80٪ من متوسط استهلاك الفرد السنوي للأسر الفقيرة.

بالإضافة إلى ذلك، لتحقيق الحد الأدنى من الربح من المشاريع الصغيرة للماشية ، هناك حاجة إلى أصول إضافية لا تمتلكها أفقر الأسر: عربة، حظيرة لتربية الماشية، محراث. بدون هذه الموارداالإضافية، لن تدر البقرة دخلاً كافياً وستستنفد هذه الأصول بمرور الوقت.

من ناحية أخرى، فإن المستفيدين من البرنامج لديهم موارد إضافية أو القدرة على الحصول عليها بسبب وضعهم المالي المرتفع قليلاً في البداية يتلقون عوائد أعلى بكثير من تربية الحيوانات مقارنة بالوظائف الفردية، ويمكن بعد ذلك إعادة استثمار هذا الدخل. وهذا يشجع هذه الأسر على تغيير أنشطتها – التوقف عن القيام بأعمال غريبة والبدء في تربية الماشية كعاملين لحسابهم الخاص، وإعادة استثمار دخلهم.

يُظهر تحليل انحدار ديناميكيات الأصول لمن هم فوق وتحت العتبة، حيث تستمر في التباعد لمدة 11 عامًا بعد نقل الأصول.

الصورة العامة هي أن أفقر الناس ليس لديهم ما يكفي من الثروة الحيوانية والأصول الإضافية اللازمة للانخراط في أنشطة أكثر ربحية، ولكن لا يمكنهم اكتسابها أيضًا. وبالتالي، يتم استبعادهم من العمل الأكثر إنتاجية، ويضيع وقتهم وقدراتهم في عمل أقل إنتاجية وغير موثوق به وعارض. إن الأجور المنخفضة والعمالة غير المستقرة، بدورها، تمنعهم من الادخار بما يكفي للحصول على الأصول غير القابلة للتجزئة اللازمة للتحول إلى أنشطة أكثر إنتاجية ومدرة للدخل.

دفعة كبيرة" قاموا أيضًا ببناء توزيع الأصول الريفية في العديد من دول جنوب آسيا. يُظهر بعضها نفس توزيع الأصول ثنائي النسق المماثل لعينة، مما يشير إلى فخ الفقر. من غير المرجح أن توجد في المدن خيار أوسع لخيارات العمل وعتبة أقل للانتقال من مهنة أسوأ إلى مهنة أفضل. ولكن حتى في المدن، فإن تكلفة الانتقال إلى منطقة أفضل أو برامج التدريب أو التعليم تتطلب استثمارات لا يملكها الفقراء، مما قد يحرمهم من اختيار عمل أفضل.

بالعودة إلى مسألة السياسة ، فإن وجود مصيدة الفقر يبعث على التفاؤل والتشاؤم. من ناحية أخرى، هذا يعني أن التحويلات الصغيرة لن تكون فعالة على المدى الطويل. إذا فشل المستفيدون في الارتفاع فوق خط الفقر، فإن تأثير أي مساعدة اجتماعية سوف يتلاشى بمرور الوقت، وسيعودون إلى الفقر. وقد يفسر هذا التأثير المتواضع للائتمان الأصغر على الأسر الفقيرة في دعم إنتاجيتها؛ ومع ذلك، يظل دور الإقراض الأصغر والتأمين مهمًا في حماية الأسر الأكثر ثراءً والمعرضة لخطر الوقوع في مصيدة الفقر عند تعرضها لصدمات معاكسة.

من ناحية أخرى، يمكن أن يكون للتحويلات الكبيرة للأصول أو الاستثمارات في رأس المال البشري ، وكذلك سياسات إزالة القيود المتعددة التي تشكل المصيدة ، آثار إيجابية طويلة المدى، حتى لو تم القيام بها مرة واحدة فقط ، لأنها تسمح للأشخاص بالانتقال إلى المزيدمن الانشطة المربحة. تشير تقديرات المتخصصين إلى أنه نتيجة لذلك، فإن الفوائد المتلقاة من التغلب على مصيدة الفقر تفوق تكلفة البرنامج بمقدار 15 مرة.

وبالتالي، فإن الدراسة تتحدى الحجة الشائعة القائلة بأن الفقر المزمن للشخص مؤشر على عدم قدرته على الحصول على وظيفة أفضل، ويعارض نهج "الدفع الكبير". في الواقع، يمكن حتى لأفقر الفقراء تحسين سبل عيشهم من خلال إيجاد أنفسهم في ظروف أكثر ملاءمة إلى حد ما.

أيُجافي توصيفُ الرأسماليّة بـالتـوحُّش الحقيقـةَ العِلميّـة؟

يُعرّف قاموس لاروس الفرنسي «الرأسماليّة المتوحّشة بأنّها "نموذج اقتصادي تُمارِس فيه ميكانيزمات السوق، إذا ما تُركت على عواهنها، تأثيراتٍ في غاية الوحشيّة"؛ بحيث أفضى النموُّ الضّخم والسريع للرأسمال الماليّ وتحوّله إلى رأسمالٍ احتكاريّ ملتحم بالدولة، وإطلاق العنان للأسواق الماليّة للعمل بحريّة مُطلَقة، إلى إعادة هيكلة العالَم من خلال الشركات المتعدّدة الجنسيّات؛ وما إلحاق صفة "التوحُّش" على هذا النموذج الاقتصادي الرأسماليّ، إلّا لتجاوزه مبادئ المشروع الحرّ، والملكيّة الخاصّة للسلع الإنتاجيّة، والربح كمحرّك للنشاط الاقتصاديّ المتروك من دون أن يحمي المواطنين من مظاهر الجشع الجامح والآثار السلبيّة التي خلّفتها العولمة بفوضويّتها، ولاسيّما في ثمانينيّات القرن الماضي.

رفيف صيداوي

في تلك الفترة، راحت تتجلّى بوضوح إرهاصات تكرُّس شبه القطيعة عن النموذج "الفوردي"، وكذلك عن "الكينزيّة" التي رأت في تدخُّل الدولة في النشاط الاقتصادي بغرض ضبط التوازن بين العرض والطلب في السوق، مخرجاً لأزمة الرأسماليّة، سواء في ردّ خطر الانتصار الشيوعي في أكتوبر 1917، والانهيار الاقتصادي الكبير في العام 1929، أم في بقاء هذه الرأسماليّة النموذج الوحيد والأوحد لقيادة العالَم بعد الحرب العالميّة الثانية، في مواجهة النموذج الاقتصادي الاشتراكي الذي يقوده الاتّحاد السوفياتي.

ففي ثمانينيّات القرن الماضي، راحت الرأسماليّة المرتكزة أساساً على إيقاع المُراكَمة الرأسماليّة (مال – سلع – مال أكثر) ترسم ملامح توحّشها وإيقاعاته. وفي هذا السياق، يُذكر أنّ "الاتّفاقيّة العامّة للتعريفات الجمركيّة والتجارة» GATT التي كانت قد قامت في العام 1947، في أعقاب الحرب العالَميّة الثانية، دفعت بالتجارة الحرّة بين الدول الغربيّة آنذاك إلى تطوّر غير مسبوق على صعيد التبادُلات التجاريّة، بحيث تضاعف حَجمَ الصادرات العالَميّة بين عامَيْ 1950 و1970 خمس مرّات، في الوقت الذي كانت بالكاد قد تضاعفت فيه في العقدَيْن اللّذَيْن سبقا الحرب العالَميّة الأولى. حينها شكّلت "الفورديّة" وتطوّرها خلال ما يُسمّى بـ "الثلاثين المجيدة"، بين النصف الثاني من أربعينيّات القرن الماضي إلى سبعينيّاته، صمّامَ أمان الرأسماليّة في مواجهة تحدّياتها من خلال تحقيق مكتسبات جوهريّة للعمّال، ولاسيّما على مستوى الحقوق بدءاً من الأجور وصولاً إلى التنظيم النقابي الحرّ وكلّ ما يمتّ بالأمان الوظيفي والاجتماعي بصلة.

غير أنّ صفة "الوحشيّة" التي وُسمت بها الرأسماليّة عند تعيين معالم تطوّرها وابتعادها عن النموذج "الفوردي"، وكذلك عن "الكَينزيّة"، سادت في أدبيّات مختلف ميادين المعرفة الإنسانيّة؛ فبات هذا التوصيف "أي الوحشيّ" أو "التغوّلي" مألوفاً في الاقتصاد (من توماس بيكيني، وبيار نويل جيرو) والاجتماع (ألان تورين، وبيار بورديو وروبيرت كاستل) والفلسفة (نعوم تشومسكي، زيجمونت باومان، ألان دونو، إدغار موران، يورغن هابرماس) والتاريخ (ماريان دوبوزي، وتوماس فرانك)، ولدى غالبيّة المفكّرين العرب من مختلف الاختصاصات أيضاً للتعبير عن الفوضى الاقتصاديّة الدوليّة الجديدة. ذلك أنّ قراءة مآلات هذا التوحُّش الرأسمالي لم تكُن اقتصاديّة فحسب، بل سياسيّة واجتماعيّة أيضاً. ففي الوقت الذي رافقَ فيه "تحوُّل انتصار الأجور على الإنتاجية إلى انتصار الإنتاجيّة على الأجور وزيادة حصّة الأرباح" (غسّان ديبة، «صندوق النقد، vs صندوق النقد : كينز خارج واشنطن»، الأخبار، الاثنين 29 تمّوز 2019)، كان صعود الإيديولوجيّة اللّيبراليّة بنسختها النيوليبراليّة يشيع بأنّ نجاح المُجتمعات المتقدّمة، على المستوى التقني والتقدّم الاجتماعي، غير عائد إلى الاستثمارات التي قامت بها هذه المُجتمعات لتطوير البنى التحتيّة الماديّة والاجتماعيّة، ولا إلى القيود والضوابط التي فَرضتها على الرأسماليّة السائدة لديها، بل يعود إلى الرأسماليّة نفسها.

المُنافَسة
كعصب النيوليبراليّة

فقد وجد نواةُ الفكر النيوليبرالي، من أمثال الاقتصادي النمساوي فريدريش فون هايك (1899 – 1992) وتلاميذه، ولاسيّما منهم ميلتون فريدمان، في المنافسة لولب العلاقات بين البشر؛ إذ تَعمد النيوليبراليّة «إلى إعادة تعريف المواطنين كمستهلِكين يمارسون خياراتِهم الديموقراطيّة من خلال البيع والشراء، على اعتبارها العمليّة التي تُكافئ الجدارة وتعاقب قلّةَ الإنتاجيّة. وتصرّ النيوليبراليّة على أنّ ‹السوق› يحقّقَ فوائد لا يمكن تحقيقها إطلاقاً عن طريق التخطيط» (جورج مونبيوت، "النيوليبراليّة – الأيديولوجيّة في أساس مشاكلنا كلّها"، مجلّة بدايات، العدد 30، سنة 2021، ص 16). والمُنافَسة هي دائماً فضيلة على حدّ تعبير عالمة الاجتماع الأميركيّة سوزان جورج، لا يُمكن لنتائجها أن تكون سيّئة؛ إذ إنّه بالنسبة إلى النيوليبرالي، السوق حكيمة إلى درجة أنّها مثل "اليد الخفيّة" التي يُمكنها اجتراح الخير من الشرّ المحقّق. وتستند سوزان جورج إلى خطاب لمارغريت تاتشر تقول فيه: "إنّه من مهمّتنا أن نمجّد اللّامساواة وأن نحرص على إطلاق المواهب والقدرات وتحرير طاقاتها التعبيريّة لصالح الجميع"، مُعيدةً ترجمته أو تأويله قائلة إنّ ما عنته تاتشر هو ألّا "تكترثوا بالذين يبقون في مؤخّرة ميدان الصراع التنافسي. البشر غير متساوين بحُكم الطبيعة. ولكن هذا للخير لأنّ مساهمات أبناء الأُسر الوجيهة، والأوفر حظّاً في التعليم، والأقوى، سوف تُفيد الجميع. لا شيء يستحقّه الضعفاء وذوو التحصيل التعليمي المتواضع، وما يجري لهم هو بسببهم وليس أبداً بسبب المُجتمع. إذاً إنّ 'إطلاق سراح' نظام المُنافسة، على قولة مارغريت تاتشر، هو الأفضل للمجتمع» (سوزان جورج، "تاريخ موجز للنيوليبراليّة"، مجلّة بدايات، العدد 30، سنة 2021، ص 9 – 10).

فالرأسماليّة وفق إيديولوجيّة النيوليبراليّة كانت تدفع لإنتاج سلع وخدمات تسمح بتحسين ظروف المعيشة. وقد أتاح التغييرُ التقني المواكب لها انتشارَ سلع جديدة (أجهزة كمبيوتر شخصيّة وهواتف محمولة)، وتطوير خدمات جديدة في مجالَيْ الإعلام والاتّصالات، أوجَدت بدورها فُرَصَ عمل جديدة. كما سمح كلّ ذلك عموماً بالعيش بشكل أفضل، وبالتقدُّم في السنّ بصحّة أفضل، وفي ظلّ ظروف أكثر ليونة لا تُقارَن بما كانت عليه في العصور القديمة أو بتلك التي لا تزال قائمة في البلدان التي بقيت على هامش تاريخ الرأسماليّة وهذه المُجتمعات نفسها، أو هذه الديمقراطيّات هي الأنظمة السياسيّة الوحيدة التي سمحت، لا بل عزّزت، ظهور تيّارات نقابيّة أو سياسيّة يتمثّل هدفها الرئيس بالإطاحة بها، والتي لم يكُن عملها مُمكناً، إلّا في قلب الديمقراطيّات اللّيبراليّة نفسها التي لا تنفصل عن المنطق الابتكاري العقلاني الذي يميّز بعُمق صعود الرأسماليّة .

يتناظر هذا التوازُن الديناميكي لدى فيري، مثلاً، بين «ابتكار هدّام و"هدْم خلّاق" كدافع للتقدّم الاجتماعي مع المبدأ الاقتصادي الكلاسيكي "دعْه يعمل دعه يمرّ"، المؤمن بقدرة قوى العرض والطلب على تنظيم اقتصاد السوق بنفسه،

وبقدرة مستويات الأسعار والأجور والعمّال على تعديل نفسها تلقائيّاً عن طريق ما سمّاه آدم سميث "اليد الخفيّة". وهو الأمر الذي يترك زمام الأمور للرأسماليّة ويسمح لها بالتحرّك على هواها.

وفق هذا المنطق، لا تعدو انعكاسات التطوّر التقني المواكب لثورة المعلوماتيّة على الأجور في البلدان الرأسماليّة، ولاسيّما أجور الموظّفين الأقلّ تأهيلاً، منذ الثمانينيّات، وتراجُع دَور النقابات، وسهولة إجراءات الفصل، والتعويض عن البطالة وغيرها من العواقب التي تفاوتت حدّتها بين بلدان رأسماليّة وأخرى (كمقاومة فرنسا أو ألمانيا مثلاً، وبعكس الولايات المتّحدة، عبر إجراءات حاسمة لضبْط سوق العمل وحقوق العاملين)، ناهيك باللّامساواة الفاقعة في الأجور بين أصحاب الوظائف العليا وأصحاب الوظائف الوسيطة أو ما دونها، وتآكُل حصّة الوظائف الوسيطة مع تباطؤ في نموِّ الأجور المتدنّية في العديد من البلدان المُتقدّمة، وماً يرافق ذلك كلّه من عدم استقرار مهني وعائلي ومجتمعي، وفق هذا المنطق لا تعدو هذه الظواهر والعواقب كلّها أن تمثّل سوى مرحلة انتقاليّة مرادفة للتقدُّم الذي لا بدّ من دفْع فاتورته من أجل رفاه البشريّة.

تزامُن هذه التغيّرات كلّها، من عولمة التبادلات، والسيطرة المتزايدة للرأسمال المالي العالمي، والزيادة المطّردة عالَميّاً في الارتباط القائم بين العمليّات الاقتصاديّة، وهَيمنة الشركات العالميّة على الأنشطة الاقتصاديّة المولِّدة للقيمة، مع تضاؤل دَور الدولة – الأمّة، لم يحجب إذاً علامات التراجُع الملحوظة في المجتمعات المتقدّمة التي فصّلها الباحث والخبير الاقتصادي الفرنسي أنطون براندر في كتابه «الرأسماليّة والتقدّم الاجتماعي». فرأى أنّه من الصعوبة بمكان التغاضي عن واقع أنّ نصيب الفرد من النّاتج المحلّي الإجمالي اليوم هو أعلى بعشرين مرّة ممّا كان عليه في بداية القرن التّاسع عشر، وأنّه يصعب التشكيك في أنّ هذا التحسُّن المادّي قد أسهم، جزئيّاً على الأقلّ، في التقدُّم الاجتماعي، ولاسيّما مع ازدياد إنتاجيّة العمل بشكل كبير وانخفاض وقت العمل بمقدار النصف في فرنسا والوِلايات المتّحدة كمثالَين اتّخذهما الباحث، لكنّ ذلك لا يحجب برأيه واقع تلاشي التقدُّم الاجتماعي المستمرّ. فالمُنافسة كقانون محرِّك وكقيمة مركزيّة للنيوليبراليّة، والتي أفضت بحسَب سوزان جورج إلى تقليص القطاع العامّ عبر الخصخصة ومكافأة رأس المال على حساب العمل، نتج عنها «نقل الثروة من أسفل المجتمع إلى أعلى». فقد أفضت «الإصلاحات الضريبيّة» للثنائي تاتشر – مايجر، بحسب سوزان جورج، إلى أنّه في الثمانينيّات، «كان واحدٌ بالمئة من دافعي الضرائب يحصل على 29٪ من جميع فوائد الحسوم الضريبيّة، بحيث إنّ شخصاً يكسب نصف معدّل الأجر العامّ يجد أنّ ضرائبه قد ارتفعت بنسبة 7٪ في حين أنّ شخصاً يكسب عشرة أضعاف معدّل الأجر العامّ ينال تخفيضاً بنسبة 21٪.

ثمانينيّات القرن الماضي كانت إذن بمثابة الشاهد والدليل على تراجُع التطوّرات التي بدأت بعد الحرب العالَميّة الثانية في العديد من المُجتمعات المتقدّمة. فالولايات المتّحدة، أكثر الاقتصادات الغربيّة تقدُّماً، من حيث إنتاجيّتها، ومقارنةً بالعقود التي أعقبت الحرب العالَميّة الثانية مباشرةً، توقّفت فيها زيادة أجور نصف الأقلّ ثراءً من البالغين، فيما العشرة في المئة من بين الأكثر ثراءً تضاعف دخلهم بين أوائل الثمانينيّات ومنتصف العقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين. وفيما كان تقدُّم الظروف المعيشيّة الماديّة يشمل الجميع خلال العقود التي أعقبت الحرب العالَميّة الثانية مباشرةً أيضاً، وكذلك من جيل إلى جيل، بحيث يرتفع مَوقع الأطفال في سلّم الدخل في كثيرٍ من الأحيان مُقارَنةً بمَوقع والدَيْهم، أصبحت هذه «الحركيّةُ الاجتماعيّة التصاعُديّة» في العقود الأخيرة أقلّ تواتُراً، وكان التفاقُم مُذهلاً، منذ التسعينيّات، للتفاوُتات في الدخل وفي الثروة أيضاً .

كانت هذه بعض المؤشّرات والدلائل التي لا تجافي القراءة العلميّة للأمور، ولاسيّما حُماة العلميّة والموضوعيّة الذين يتحسّسون من توصيف الرأسماليّة بالتوحّش باسم العِلم.

صالة التحرير

تبدو صالة التحرير هادئة هاجعة في الصباح الباكر، فهذه الصالة التي تجمع أغلب المحررين، ومن شتى اقسام الصحيفة في زمن الصحافة الورقية التقليدية، فلعل وضعها، قد تغيّر الآن. هذه الصالة سرعان ما تتحول إلى مكان صاخب يعلوه الضجيج عند منتصف النهار بعد عودة المحررين من تغطياتهم اليومية في الوزارات والمؤسسات والشركات والجمعيات والأسواق وغيرها، حيث يلتقون بالبشر ويلتقطون ما استطاعوا من صيد متوفر ومتاح وقابل للنشر والتداول، ولا يخلو شباكهم أحياناً من درر وكنوز، أو ما اصطلح على تسميته «بالسبق الصحفي» الجدير بمانشيات الصفحة الأولى، ثم تبدأ معاركهم الثانية الأصعب لاحقاً؛ ما الذي ينشر وما الذي يُمنع أو يؤجل أو يختصر أو ربما يختزل إلى المستوى الذي يفقد فيه الخبر كل أهميته ومضمونه ويتحوّل الى «مرقة بدون لحم».

عصمت الموسوي

وإذا جاد الزمان في تلك اللحظة الزمنية بظروف ملائمة، ربما وجد الخبر له مكاناً بعد أيام حين يبرد ويخفت وهجه، بيد أن أعظم مصائب الصحافة حين تأتي الأوامر بحظر النشر تماماً في موضوع يشكل مادة دسمة للصحافة والرأي العام، لكن الصحفين لاييأسون ويمنون النفس بأن تجد أخبارهم وتغطياتهم المقموعة النور ذات يوم.

«إن اجمل الأخبار تلك التي لم تنشربعد» – يقول أحدهم متحسراً، لكن هذه القصص الخبرية تظل موجودة ومحفوظة ومخزنة في دفاترهم، وعلى شاشات حواسيبهم، يتداولونها ويعلقون عليها في صالة التحرير بين زملائهم ومرؤسييهم منتظرين يوما تخرج فيه الى الملأ لتعلن عن نفسها دون خوف أو خشية، هذه المواد تشكل بعضاً من ذاكرة الصحفي الغنية وحصيلة جهده ومساعيه واتصالاته وركضه واستنتاجاته، ولكم وجدتني أمام زملاء يمتلئون فرحاً وتوهجاً بما جنوا من محصول خبري وكسب حلال ومشروع في مهنتهم، فإذ بهم في المساء يستسلمون كالمهزومين وقد انطفأ حماسهم وتلاشت رغبتهم في معايشة ومواصلة يوم صحفي آخر جديد لا يشبه ما قبله، بعد أن تقرر إرجاء أو حذف أخبارهم او مقالاتهم، وأحيانا قد يشتغلون على المادة الصحفية عدة يام ويطرزونها ويملأونها بالتفاصيل الجميلة والمثيرة ثم لا تجد لها مكاناً إلا في اسفل صفحة داخلية ومتوارية، ورغم النضال اليومي في الصحافة التي اعتدناها لم يحظ الصحفيون وقتها بجوائز ومكافآت رسمية كما هي الحال اليوم، كانت جوائزهم تكمن في تمرير أخبارهم وأفكارهم بشكل تلقائي حر واعتيادي، الجوائز حضرت بعد انحدار الصحافة وغياب التعددية والتنوع والتنافس بين الصحف.

لكن في صالة التحرير كان الصحفي بالمقابل يستعيض عن اختفاء خبره أو مقاله بالتباهي والتفاخر بين زملائه بتسريب ما في جعبته من اسرار وما توصل اليه من معلومات «خاصة « تصنف في العادة في خانة خارج التسجيل والتدوين «اوف ذا ريكورد»، أو تلك التفاصيل التي أحاطت بالخبر والتي لم تجرؤ الصحافة على نشره امتثالا لقواعد النشر البديهية في مجتمعنا الصغير الذي يشتغل كل يوم على المحافظة على مكانة الكبار وسمعتهم.

هنا في صالة التحرير كنا نقول المسكوت عنه ونتأسى على حجم المفارقات في التغطيات الخبرية، ونتلذذ ونتبادل الضحكات بسماع حكايات ونوادر وطرائف عجيبة تعوضنا عما خسرناه أو ما عجزنا عن تقديمه على مائدة القراء، وقد تنادينا ذات مرة لتأسيس صحيفة داخلية لنشر الممنوع فقط لكن المشروع أحبط لأسباب عديدة.

أسرار صالة التحرير التي خفيت عن أعين الناس والقراء نجدها اليوم حاضرة بقوة ومننتشرة في فضاء الإنترنت، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي وفي غرف الدردشة ومجموعات الواتس اب والفيس بوك وعلى حسابات ومدوّنات النشطاء واليوتيوبرز والتوك توك، زمن يتشارك فيه كل صاحب رأي في الإدلاء بدلوه، ويتحوّل الخبر الصغير المكوّن من عدة أسطر الى قصة كبيرة ومتشعبة ومليئة بالتفاصيل في خانة التعليقات، اذ تفتش وتبحث وتتساءل وتضيف وتطرح ما لديها من معلومات صحيحة أو مختلقة.

صالة التحرير الإلكترونية ذات الأسماء المستعارة أوالحقيقية قد تستبق الخبر الرسمي وأخبار مركز الاتصال الهادف الى توحيد مانشيات الصحف، هنا صالة متحررة ومتنوعة تفوق طاقة التغطية الخبرية أحياناً ويصعب السيطرة عليها أو رقابتها مهما تشددت القوانين الإعلامية أو ازداد الرصد الالكتروني، صالة التحريرهذه تبث وتنشر وتتشارك في إعلام لم نعتد عليه في صحافتنا الورقية، سابقاً وراهناً، وتنذر بتلاشي عالم ما قبله بالكامل بل وبتداعي وفشل كل منظومة قوانين وأجهزة الضبط والرقابة، ها قد حضر التغيير الذي حلم به الصحفيون في صالة التحرير القديمة على يد التقنيات الجديدة.

أتذكر كيف خسر بعض زملائنا الصحفيين وظائفهم وطردوا من صحفهم عقابا على جملة أو فكرة أو خبر عادي وبسيط، فقط لأنه تجرأ على السائد وتجاوز نطاق المسموح وتطاول على المسكوت عنه، يا لها من مفارقة عجيبة أن يتفوق مواطن عادي اليوم في مدونته وطرحه وفكرته وجرأته على صحافة مؤسسية عتيدة وعريقة تبحر كل يوم كسفينة ضعيفة ومحاصرة ومحدودة المدد والعون باحثة عن صيد هزيل وسط محيط من الأخبار والأفكار المتلاطمة اللامتناهية.

التطرف في الحياد

تقاطعات أخرى بين الشرق والغرب

وأنا أقرأ في سيرة الراهب والفيلسوف إيرازموس (١٤٦٩–١٥٣٦م) الأب الروحي لفكرة الإصلاح الديني في أوروبا والمناهض للتعصب والعنف، الإنساني الكبير والمحايد الأكبر. تذكرت الفصل الذي تناول فيه أحمد أمين من كتاب فجر الإسلام موضوع المُرجئة (حدود القرن السابع الميلادي) وفكرهم الحيادي الذي يتقاطع مع فكر إيرازموس مع اختلاف البيئة والزمان والظرف السيا/جتماعي، وبطبيعة الحال فإن المرجئة أسبق من إيرازموس بأكثر من سبعة قرون من الزمن.

حسين آل ربيع

طمح إيرازموس عن طريق الفكر والتنظير أقل من الفعل لأن يقيم إصلاحاً للمنظمومة الدينية الكاثوليكية بنعومة وحرص شديد، تميز إيرازموس بنزعته الإنسانية المشفقة وتقبّله للمختلف ومد الجسور حتى مع من كانوا من الوثنيين،وعمل على هذا الإصلاح من داخل المنظومة نفسها أي من نفس المنطلقات العقائدية الكاثوليكية في حين رأى بعض تلامذته أن ما يفعله إيرازموس من تنظير لن يؤدي الى شيء مالم يتحرك فعلياً على الأرض وبرغبة حازمة في التغيير.

رفض إيرازموس أي توجه ثوري صارم فيه عنف، فهو يرى عدم إمكانية حدوث إصلاح بالعنف لأن في تصوره أن العنف لا يؤدي إلا الى عنف مقابل وقد تحصل الفوضى والخراب وهو مناف لمفهوم الإصلاح الذي يحاكم ويتخلص من فساد المنظومة دون القضاء عليها أي بالتي إصلاحها لا استبدالها، إذن فقد رفض إيرازموس الثورة والنضال وأي شكل من أشكال العنف، ومن هنا بدأت مأسات إيرازموس.

مع اشتداد الحركة النضالية الإصلاحية بقيادة الراهب الثائر مارتن لوثر، في جهة أخرى من ألمانيا كان إيرازموس بنادي بمبدئه الذي يتبنى اللاعنف حد التطرف وهو على العكس تماماً من مواطنه الآخر أعني لوثر، إشتدت الثورة الإصلاحية واشتد الحماس الى الحد الذي وصف فيه لوثر إيرازموس بأقذع الشتائم وذلك لرفضه الإنضمام معهم في الحركة الإصلاحية وهو المنظّر الأول لها، ومن جهة أخرى وضعته الكنيسة الكاثوليكية ضمن قائمة المحضورات، كان ايرازموس متطرفاً في الحياد أيضاً حتى أنه في غمرة احتدام النزاع والإصطفافات والتحالفات آثر استقلاليته وعدم اصطفافه مع أي أحد من الفرق المتنازعة إضافة الى تمسكه بمبدأ اللاعنف.

قد نلحظ في الشرق ما قد يتقاطع مع فكر إيرازمس في الغرب بشكل لافت، في احتدام الفتنة الكبرى في القرن الأول الإسلامي وبداية البوادر الأولى لنشوء الفِرَق والمذاهب والإلتفاف وفق عقائد مذهبية/سياسية، ظهرت فرقة تبنت الحياد، اختار المرجئة الحياد على الوقوف مع أي فرقة من الفرق التي نشأت على أعقاب الفتنة الكبرى؛ والمرجئة اصطلاحاً من أرجأ بمعنى أمهل وأخّر، سُموا كذلك لأنهم يرجئون أمر المختلفين في عصر الفتنة الكبرى (سياسياً/مذهبياً) الى الله يحكم بينهم، دون أن يصطفوا مع طائفة دون أخرى أو أن يكفّروا طائفة أو أخرى في زمن كانت كل فرقة تقول عن نفسها أنها الفرقة الناجية وماسواها في ضلال وظهرت أحاديث نُسبت للنبي (ص) من قبيل حديث الفرقة الناجية...الخ.

على هذا النحو بُني توجه المرجئة السياسي، وبناءً عليه –كما حصل مع بقية الفرق– أصبحت لهم منظومة لاهوتية تدعم توجههم السياسي تنص على عدم التكفير بالمطلق... فالإيمان عندهم قلبيّ ولايطلع على خفاياه إلا الله سبحانه، جميع أصحاب الفرق عندهم مؤمنون (شيعة، خوارج، أمويون...الخ)،بل ويتسع الإيمان عندهم ليشمل النصارى واليهود بل حتى الوثنيون: «إن الإيمان هو الإعتقاد بالقلب وإن أعلن (شخص) الكفر بلسانه، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية والنصارانية في دار الإسلام(...) ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل، وليّ لله عز وجل، ومن أهل الجنّة» (أحمد أمين/ فجرالإسلام ص364)، أراد المرجئة بذلك مسالمة الناس جميعاً وهو فعلٌ متطرف في الحياد في زمن النزاعات والصراعات المحتدمة، وهذا يذكرنا كثيراً بالمذهب الذي تبناه إيرازموس في الغرب بعد مايقارب سبعة قرون.

وعلى طريقة المرجئة في اللاهوت كان إيرازموس يرى أن الإنسان لايحسم درجة إيمانه إلا في سريرته وحدها عن طريق تجربته الروحية الفردية وسلوكه الإنساني (المسيحي) في الحياة،»إن السلوك الذاتي في الحياة تبعاً لروحانية المسيح أهم من الحرص الحقيقي على الطقوس والصلوات،وعلى الصيام وحضور القداديس(...) الخلاصة الجوهرية لديننا هي السلام والوفاق» (زفايغ/ من يقطف ثمار التغيير؟ ص84)

ولكن ما الذي حدث تاريخياً لهذين المذهبين الحياديين المرجئة وإيرازموس؟ بعد حين اندثر مذهب المرجئة وذاب في الفرق التي نشأت لاحقاً، الفرق الأكثر جرأه وتمرد من الفلاسفة والمتكلمين كالمعتزلة وإخوان الصفا وغيرهم، وأصبح المرجئة بلا ذِكر إلا فيما ندر، وعاش إيرازموس محاصراً وفي عزلة تامة وصار في خلفية المشهد الإصلاحي بعيداً متوارياً عن الأنظار لايكاد يُذر ولايُعرف تاريخياً، على عكس لوثر الذي حمل أفكار إيرازموس ذاتها وأعطاها طابعاً ثورياً، وكالفن الذي أسس فيما بعد دكتاتورية دينية هي نفسها التي بدأت ثورية إصلاحية. في حديثه عن إيرازموس يقول ستيفان زفايغ:»التاريخ ظالمٌ في حق المنهزمين. هو لايحب كثيراً رجال الإعتدال، وسطاء الوفاق والتصالح، الرجال ذوي الطبيعة الإنسانية. والمفضلون لديه عم هم الإنفعاليون المتّقدون، المفرطون، المغامِرون، عتاة الفكر والفعل. لذلك لم يمنح خَادم الإنسَانية الصامتَ هذا سوى نظرةٍ عابرةٍ لاتخلو من ازدراء» (زفايغ/ من يقطف ثمار التغيير؟ ص25–26).

اليسار واليمين في الملاعب

عندما نتحدث عن اليساروااليمين أول ما يخطرعلى بال القارئ هو أننا نعني الخوض في الشؤون السياسية أو البرلمانية وهذا حدس صحيح. إما ما لا يخطر على البال فهو أن تصل هذه الإتجاهات السياسية إلى الرياضة وأن تجمع الجماهير حولها وتتحول إلى أداة سياسية وتعصب وحتى عنف يلهب الصراع الطبقي .

هتلر النازي إستغل الرياضة للدعاية لنظامة والتفوق الألماني والأنظمة الاشتراكية المنهارة إستخدمت نفس السلاح. ترسخت هذه الأحداث قبل الحرب العالمية الثانية ومن بعدها أثناء الحرب الباردة وإنتهت، لكن الصراع الطبقي في صورته النفسية المنحازة بين الجماهير الرياضية وبخاصة في أوروبا لم ينته بعد.

فريق ليفربول الإنجليزي يمثل تاريخ صراع الشغيلة ضد مستغليهم وقد مرت أقوام وأجناس على هذه المدينة العمالية ، كانت مرفأ وماتزال مر به العبيد قبل أن يرسلوا إلى امريكا وتوطنت فيها صناعة أساطيل السفن الحربية والتجارية البريطانية وإحتدام الصراع بين الشغيلة الإيرلندية ومستغليهم الإنجليز ونتجت عنه الثقافة الإيرلندية الثورية وهي السائدة في هذا النادي فجمهوره بأغلبيته من الشغيلة وبالتالي فتجد أن جماهير الفريق تضم القوميات والاديان المختلفة، من بينها العرب والمسلمين وتوجهات النادي وشعاراته يسارية ونشيده ثوري وعنوانه (أنت لن تسير لوحدك أبداً) وبالمقابل فإن نادي مانشستر يونايتد عضويته بأغلبها كانت دائماً للبيروقراطيين والطبقات المتوسطة لذلك فيسميه العامة (نادي المتكبرين) وإذا رجعنا إلى البيئة العربية، فالنوادي المصرية تاريخها حافل بالوطنية وخاصة النادي المصري من بورسعيد بينما تذبذبت مواقف النادي الأهلي والزمالك أثناء الإنتفاضات المختلفة في مصر .

في أوروبا جميع الديكتاتورين الذين تعاقبوا على حكم بلدانهم اسسوا لأنفسهم نوادي ودعموها، كما أن الإنتفاضات المحلية والحروب الأهلية التي حدثت في تلك البلدان أفرزت أيضا جمهوراً يسارياً إشتراكياً إستغل المباريات بين فرق الدوري ليرفع شعاراته الطبقية والثورية اليسارية وبالمقابل أسس الممسكون بالسلطة الفاشيين، جمهوراً رجعيا أو فاشيا ليناوئ شعارات اليسار بشعارات أخرى مضادة ، ففي إسبانيا تعتبر أندية مثل ريال مدريد وأتلتيكو مدريد من النوادي اليمينية التي دأب الديكتاتور الإسباني فرانكو على دعمها بينما دعم الديكتاتور الإيطالي موسوليني نادي لاتسيو النازي العدو اللدود لنادي العاصمة روما حيث جمهور روما المحايد في كل المباريات إلا حين يقابل فريقهم فريق لاتسيو فينقلب مزاج الجميع وتبدأ معركة رفع الشعارات والعلام ودق طبول الحرب ضد مؤيدي النازيين. كما أن نادي إنترميلان يميني على الدوام فإن نادي ميلان متقلب الولاء ويعتمد على من يجدد ملكيته إن كانت المافيا أم آخرين ، نوادي يمينية أخرى في إنجلترا هي النادي المشهور تشيلسي ونوادي قديمة مثل بيرنلي وميلوول .

أما نادي برشلونة المتميز في إسبانيا فهو ليس يساريا فقط بل يساري قومي ينادي بإستقلال مقاطعة كتالونيا الإسبانية مثله مثل فريق مقاطعة الباسك أتلنتيكو بيلباو وهو قومي إستقلالي متعصب لا يقبل غير الباسكيين للعب في صفوفه .أما النوادي التي تدعم اليسار في أوروبا فهي موزعة على الخريطة وهي إتحاد برلين وسانت باولي من ألمانيا – بوهيميان من إيرلندا سيلتك من أسكوتلندا ورايو فاليكانو وإسبورتو من إسبانيا وليفورنو الشيوعي من إيطاليا وأولمبيك مارسيليا من فرنسا و AEK من اليونان أما من أمريكا اللاتينية فهناك

إسبورت كلوب من البرازيل ومن الأرجنتين الفريق الشهير والمنافس الدائم على الدوري والذي إكتشف فيه مارادونا (بوكا جونيور) . إن الصراع الطبقي في أوروبا وبلدان العالم الأخرى قد إشتد منذ الأزل وبقيت المدرجات الرياضية المتنفس الوحيد للجماهير لتعبر عن معاناتها من ظروف الحياة ، وكما أن المدرجات تكشف هذا الغيض فإنها أيضاً تتحول إلى برلمانات مفتوحة تكشف عن طبيعة الأنظمة الحاكمة في هذه البلدان من خلال ما أعدته الجماهير وحملته إلى المدرجات من شعارات وعبارات إحتجاج وأعلام ترفرف وصور جيفارا وأبطال النادي والبلد ويجري تدريب جماعي فني منظم على ترديد شعارات أو أغاني تغنى جماعياً أثناء المباراة ..حيث يكشف المستور سواء كان قمعاً او حكماً ديكتاتورياً أو مطالبات شعبية ملحة.

الترجمة الأدبية وفعل الخلق الإبداع

إن موضوع الترجمة الأدبية جد شائك، نظرا لارتباطه بحقول معرفية لها علاقة بالأسلوبية والشعرية والجمالية، وغيرها من الحقول التي تهتم وتهم الخطاب الأدبي. هذا الخطاب الذي يتميز بماهيته المتفردة عن باقي الخطابات الخلو من الأدبية والشعرية وجمالية الأسلوب .. ويمكن للنظرية الشعرية في الترجمة الأدبية أن تستوعب كل المتغيرات دون أن تدين الفعل، نظراً لغياب قاعدة هي بمثابة النهج الذي يجب التحرك داخله. فلائحة السوانح، تكسر القاعدة وتسمح لنا بالتصرف بحرية تحت طائلة الخلق والابتكار مع المحافظة على السياقات النسقية طبعاً.

د.إلهام اسلامتي

وفي المقابل تهدينا الترجمة الأدبية إبداعا جديدا يحل محل الإبداع القديم بنفس الوضع الاعتباري.

ليس النص الأدبي بالإطار الصلب المحدد لعدم قبول التغيرات، بل هو أرضية قابلة للتخصيب بحكم طبيعته. وهذا ما يجعل منه حقلاً خصباً لتوليد الدلالات وخلق مستويات الإبداع.

فحالة التواطئ التي تخلفها الترجمة، سببها الانزياحات المتكررة التي تنتجها الترجمة في كل مرة يتم فيها نقل نص من النصوص الأدبية إلى لغة مستقبلة، ليس هذا فقط، بل تساعد القراءات المتكررة على إعادة اكتشاف الكاتب لذاته ولإبداعه بصفته طرفا رئيسيا في العملية، ومكونا أساسيا من هذا الإبداع.

هكذا إذن، وليس بمحض الصدفة، تصبح الترجمة الأدبية كتابة تقف ندا لند الكتابة في نصها الأصلي. فهي تحيط نفسها بالمقومات التي تحافظ لها على مشروعية الوجود، وتعاقب الاستمرار لغوياً وأسلوبيا وإبداعياً.

وتحت عنوان "الكتابة في لغة أخرى كتابة أخرى"، يشبه الباحث المغربي في شؤون الترجمة د.عبد السلام بنعبد العالي، طبيعة النص بترجماته، بالطبيعة التي يسود فيها الوفاء والألفة، بالرغم مما يقال في حق الترجمة من خيانة وعدم الوفاء. فالترجمة – والكلام على لسانه – تتمسك بهذا التساكن مع نسختها الأصلية.

إن الترجمة التي فيها إبداع هي فرصة ثانية لحياة النص، وكلما تمت ترجمة جديدة، كلما تجددت الدماء داخل هيكل النص الأساسي، فتنطلق روحه بكل ثقة نحو آفاق جديدة، تفكه عن عزلته وترسم له مسارا جديدا نحو المعاني والأفكار التي هي خاصيات فكرية يمكن ان تصبح قيمة مضافة لكل ثقافة تهاجر إليها، او بالأحرى تحل فيها.

إن الانفتاح على ثقافة الآخر، هو اعتقاد بوجود ذات نتقاسم معها الحق في ممارسة الحياة، ولاشك ان هذا سيبعدنا عن التقوقع والانغلاق عن كل ما هو حضاري، ويرنو بنا نحو الانفتاح والعيش المشترك. ولنا خير مثال في الحضارة الإسلامية التي جعلت لها الانفتاح محجا لثقافات كونية، قادت العالم إلى مرحلة مزدهرة من تاريخ الإنسانية.

لقد مرت الآداب الإنسانية على مر العصور بامتحانات أخلاقية عسيرة، حيث مورس على بعض الثقافات أشكال من السطو والتدمير المنهج، ففي الغرب كانت الترجمة بابا لاستئصال بعض الثقافات من خلال الغزو العسكري لبلدانها، والقضاء على لغاتها التي حوربت في عقر دارها. ولنا خير دليل في الأدب "الفرانكوفوني" الذي ولد وترعرع في بيئة استعمارية، لكن وبفضل أقلام حنكتها التجربة والعيش على ضفاف المشترك، استطاع هذا الإبداع بفضل أنساقه الثقافية المنتفضة عن واقعها المأساوي، والمتطلعة إلى الحرية والتحديث أن تنتج لنا أجناسا أدبية تنافس الآداب العالمية في المحافل الدولية.

إن الوعي بالانساق الثقافية يدعونا إلى صياغة مفهوم جديد عن جدلية الإبداع في الترجمة، بحكم أن العملية عملية تأثر وتأثير، وتجديد للتواصل القائم بين الثقافات، وبين شتى أنواع المعارف والخصوصيات، لهذا وكما استنتجت الدكتورة ياسمين فيدوح في كتابها "إشكالية الترجمة في الأدب المقارن" فإن الترجمة بتحقيقها النص "الهدف" من خلال النص "المصدر" تحكمها علاقة حوار؛ والنصان معا يعزز كل منهما الآخر في مسألة الاتصال الثقافي الذي يقتضي التبادل، وفي حال إجراء هذا الاتصال تكون الترجمة قد أدت دورها لبعث الفكر المستنير من أجل:

1- خلق معرفة متحررة قائمة على زرع المبادرة.

2 - بناء معرفة ثقافية جديدة تسعى إلى التطلع والاستشراف.

3 - توجيه رؤيا المعرفة العربية إلى ما هو أكثر فائدة للتنمية .

حول الأهمية المعاصرة لكتاب «في سخالين» لتشيخوف

بقعـــة الآلام التـــي لا تُحتمـــل

للروس أفكار مبتكرة لتكريم أدبائهم. في ساخالين وضعوا نصباً تذكارياً لكتاب تشيخوف عن الجزيرة أمام متحفه المخصص لهذا الكتاب بالتحديد. إلا أن المشهد خارج روسيا يبدو مغايراً بعض الشئ، إذ تأخر الاهتمام بهذا العمل عقودا طويلة من الزمن. صدر كتاب «ساخالين» باللغة الروسية لأول مرة عام ١٨٩٥، وتأخرت ترجمته للانجليزية حتى ١٩٩٣، وأما النسخة العربية فكان عليها الانتظار حتى عام ٢٠٢١ لتصل الى قراء العربية عبر دار المدى، بترجمة من عبدالله حبه. فماهو السر وراء هذا التأخير؟

محمد ديتو

يبدو أن شهرة « تشيخوف» ككاتب قصص قصيرة وأعمال مسرحية عظيمة، قد ألقت بظلالها على هذا العمل البالغ الأهمية وساهمت في حجب الاهتمام به، خاصة أنه من الأعمال التي يصعب تصنيفها ضمن أطر واضحة: هل هو أدب رحلات؟ هل نعتبره بمثابة بحث أثنوغرافي؟ أم دراسة عن مستوطنات العقاب والنفي في سيبريا ؟.

في حقيقة الأمر فإن كتاب «تشيخوف» هو كل تلك التصنيفات مدمجة في نص واحد. وفي حين أن غالبية ما كتبه النقاد عن الكتاب كان عن الأهمية التاريخية للكتاب «آنذاك»، أي في روسيا القرن التاسع عشر تحت حكم القياصرة، فإننا سنسعى لمقاربة محتوى الكتاب من ثلاثة زوايا: كيف بحث تشيخوف الموضوع؟ وكيف شخّص الوضع؟ وماهي وصفته للحل؟

كيف بحث تشيخوف الموضوع؟

في سياق إعداده للرحلة الى ساخالين، انهمك تشيخوف في قراءة كمّ هائل من المصادر المتوفرة حول الوضع في تلك الجزيرة. في رسالة الى شقيقه ألكسندر مؤرخة في 25 فبراير 189 يشتكي تشيخوف من أن «مقالات الجرائد إما مكتوبة من أشخاص لم يزوروا ساخالين ولايفقهون شيئا في شؤونها، وإما من قبل أشخاص استثمروا رأس مالهم في مشاريع في الجزيرة، ويسعون لتبرئة أنفسهم مما يحصل هناك. وكلا الطرفين يساهمان في التعتيم على حقيقة الوضع».
كان تشيخوف غاضباً وعازماً في نفس الوقت على كشف الحقيقة، وهذا ما شكل دافعه القوي لزيارة الجزيرة وتقصي الوضع ميدانيا هناك. في رسالة الي ناشره «سوفرين» (9 مارس 1890) يصل الأمر بتشيخوف حدّ مطالبة الروس بالحج الي ساخالين للتكفير عن ذنوبهم التي إرتكبوها بحق الآلاف من المساجين هناك، ويذكر أن ساخالين هي «بقعة الآلام التي لاتحتمل ولا يطيقها إلا إنسان حرّ مرغم بالإكراه.. دفعنا إلى التفسخ في السجون ملايين الأشخاص. دفعناهم الى التفسخ عبثاً، من دون تفكير وبكل وحشية.»
مرحلة الإعداد الفكرية التي خاضها تشيخوف تميزت بإتساع نطاق مايقرأه: مذكرات الرحالة، تقارير حكومية، دراسات اقتصادية، كتب جغرافية وتاريخية واثنوغرافية وغيرها. كان مهتما بفهم «السياق» العام والتاريخي للموضوع الذي سيبحثه، أي أنه لم يقتصر فقط على الكتب الأكاديمية ذات الاختصاص الضيق والمعمق. ولعل في ذلك يكمن أحد أهم دروس تشيخوف المعاصرة لنا في القرن الحادي والعشرين، حيث غالباً ما نقرأ دراسات وأبحاث لم يهتم كاتبوها بالسياق المجتمعي والسياسي والاقتصادي لمواضيعهم.
عندما وصل إلى ساخالين بدأ تشيخوف بالمرحلة الصعبة من سعيه

نحو الحقيقة. انطلق بكل حماس في «العمل الميداني» . اتفق مع ادارة السجون هناك على طباعة عشرة آلاف بطاقة إحصائية لكل من كان يعيش في الجزيرة (جميعهم من المحكومين في جرائم جنائية، إذ لم يكن مسموحا له مقابلة المساجين السياسين البالغ عددهم حوالي الأربعين). كان يقابل يومياً ما يقارب مائة وستين سجيناً، ويدّون الملاحظات عن السخرة، وبغاء الأطفال، والجلْد. كان ينهض في الخامسة فجراً ويستمر في العمل حتى منتصف الليل. ذكر تشيخوف في إحدى رسائله أن غرضه كان إجراء المقابلات لا نتائج تلك المقابلات. لم يكن مهتماً بدقة الأرقام، بل بنوعية الحالات التي يقابلها، وحسب تعبيره فإن «الهدف الرئيسي من الإحصاء ليس نتائجه بل الانطباعات التي تولدها عملية الإحصاء نفسها». ماذا يعني ذلك؟ يعني «أنسنة» إسلوب البحث العلمي: فمن كان يقابلهم لم يكونوا أشياء وأرقام مجردة، بل بشر لهم تاريخ وشخصية

ومشاعر. كانت البطاقات الإحصائية وسيلته لفهم تنوّع الحالات الإنسانية لكل من قابلهم. وفي ذلك نرى درسا آخر لنا من أسلوب بحث تشيخوف في «ساخالين»، درس نحتاج تذكره الآن في عصر طغيان الإحصاءات المعتمدة على البيانات المخزنة رقمياً، بدون التواصل المباشر مع من يتم إحصائهم.

تشخيص تشيخوف للموضوع

يحتفظ أرشيف تشيخوف في موسكو بسبعة آلاف بطاقة من ذلك التعداد الذي قام به تشيخوف، وهي وثائق تاريخية توثق حقبة مظلمة من الاستبداد القيصري في أواخر القرن التاسع عشر. يتكشف لنا من خلال تلك البطاقات عالم السجون والمنافي بمختلف تدرجات التعاسة البشرية الموجودة في ساخالين، وكأنها درجات سلم اللون الأسود: هناك المساجين الذين لم يكملوا محكوميتهم، وهناك المنفيون المستقرين (الذين أكملوا فترة محكوميتهم ولكن يتوجب عليهم البقاء في الجزيرة)، وهناك الفلاحون المنفيون (بإمكانهم الخروج من الجزيرة ولكن عليهم البقاء في سيبريا). لا يوجد أحرار هناك بإستثناء الحرس والمسؤولين الحكوميين (ربما المسجونين في وظائفهم في الجزيرة).

يرى كثير من النقّاد أن الحالات الانسانية التي رصدها تشيخوف وهو يجري إحصائه في الجزيرة شكّلت لاحقاً نموذجا للعديد من شخصيات قصصه القصيرة، وهو ما دفع الناقد "تيم سباركس" للقول: "يمكننا أن نعتبر قصصه التي تزيد عن ستمائة قصة ملفات عن سجناء أو عمن يسجنون أنفسهم في الحب، العمل، الأبوة، السياسة." بعد زيارته للقرى المنتشرة من شمال الجزيرة إلى جنوبها، والتي كان يتم الترويج لها رسمياً بوصفها قرى زراعية مزدهرة، يكتب تشيخوف: "المستوطنات التي زرتها لا تشبه القرى الزراعية أبداً. سكانها عبارة عن خليط من الرعاع الروس والبولنديين والفنلنديين والجورجيين، الذين إجتمعوا ليس بمحض إرادتهم بل بالصدفة، كالناجين من سفينة محطمة."

ما فعله تشيخوف في الواقع هو أنه كشف عبر صفحات كتابه زيف المزاعم الرسمية التي صوّرت ساخالين كأنها نموذج للاستيطان والتعمير مشابه لما حدث في استراليا وغيرها من المناطق الخاضعة للإمبراطوريات الاستعمارية آنذاك. كما بين وبموضوعية تامة أن ما يتم الترويج له للسجون والمنافي كأماكن للاصلاح والتأهيل كان مناقضا للواقع الفعلي الذي يتسم بتحطيم انسانية كل من يعيش في تلك الظروف. ففي ظل سلطة مطلقة (العلاقة بين السجان والسجين) ، يستشري فساد وطغيان الأول، تتدهور أخلاقيات ومعنويات الثاني. وتضمحل المشاعر الانسانية عند الطرفين. تتعدد الأمثلة علي ذلك في فصول الكتاب مثل كشف الكذب والرياء لدى حاكم الجزيرة ، أو تفشي القمار والبغاء وغيرها من السلوكيات الشائنة عند المساجين.

يذكرنا ذلك بالنتيجة التي توصل لها "تزفيتان تودروف" في عمله "العيش في الظروف القصوى" الصادر في تسعينات القرن الماضي، حيث شبّه المفكر الفرنسي – البلغاري الحياة في معكسرات الاعتقال النازية بوصفها عدسة "المجهر" التي

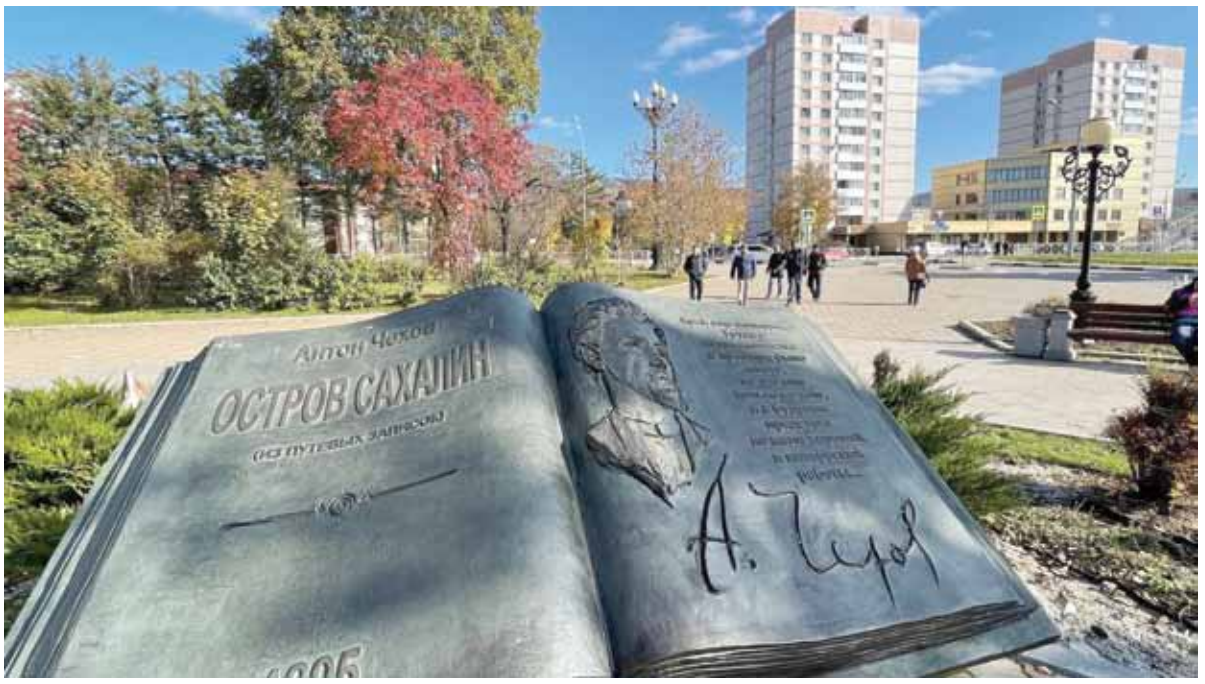

ستمكننا من رؤية سلوك وحياة الأفراد، بصورة لا يمكننا أن ندركها في ظروف المجتمع الطبيعية. يقول "تودوروف": "لقد إنطلقت من فرضية أن الظروف القصوى تعمل بمثابة عدسة مكبرة للأمور التي تكون مخفيّة في الحياة العادية غالباً لأسباب متعلقة بإحترام المعتقدات، أو النفاق والرياء الاجتماعي. هذه الأمور المخفية تظهر الى الضوء بوضوح في ظل الظروف القصوى لمعسكرات الاعتقال." . بمعنى أنه لفهم الإعتيادي يجب أن نبحث فيما يحدث تحت الظروف القصوى.

يبدو لنا أن مافعله تشيخوف في كتابه هو أنه عبر تسليطه الضوء علي الظلم في ساخالين، كشف ضحالة القيم السائدة في المجتمع الروسي آنذاك والتي جعلت من هذا الظلم ممكناً بالدرجة الأولى، أي بتعبير آخر استخدم ساخالين كمرآة تعكس فساد المجتمع في روسيا.

ما هي وصفة تشيخوف للحل؟

بعد ثلاثة شهور من بحثه الميداني في الجزيرة، غادرها واستغرق الأمر ثلاث سنوات ليكمل كتابه عن ساخالين . لاحقا سعى أحد أصدقاء تشيخوف للتوسط في توظيفه بمهنة أكاديمي في كلية الطب بموسكو، إلا أن محاولته بائت بالفشل بعد أن رفض عميد الكلية بإزدراء قبول كتاب «في ساخالين» كأطروحة طبية علمية.

لم يتضمن كتاب «في ساخالين» أي وصفة لعلاج المشاكل التي استعرضها الكتاب . تشيخوف كالعادة بارع في طرح المشكلة ولكنه يتجنب وصفة الحل ، وهذا ما يميز كافة كتاباته الأدبية أو ذات الطابع العلمي (ساخالين). لم يكن ثورياً راديكالياً، ولم يكن أيضاً موالياً لحكم القيصر، بل اتسمت نظرته بطابع إصلاحي مبهم. كان مثقفاً إنسانياً يعيش بين مطرقة الرقابة البوليسية الصارمة، وسندان الحركات الثورية الهائجة آنذاك. عليه أن يناور في دروب كتاباته ليصون حريته في التعبير لقول الحقيقة التي يعتقدها. لا يعني ذلك أن كتابه لم يؤثر في تغيير الواقع، بل إن نشر كتابه قد ساهم في إثارة النقاش والجدل في أوساط الرأي العام الروسي آنذاك، مما أدى إلى عدد من الإصلاحات في مجموعة من التشريعات، مثل حظر العقاب البدني للنساء في عام 1893، ومراجعة القوانين المتعلقة بالزواج من السجناء المنفيين، إلغاء النفي مدى الحياة والأشغال الشاقة مدى الحياة في عام 1899، وحظر العقوبة البدنية وحلق رؤوس السجناء في عام 1903 .

هناك العديد من اللوحات التشيخوفية المعبرة في ثنايا صفحات كتاب «في ساخالين»، وإحدى أكثرها دلالة برأينا تلك اللوحة الدرامية التي يصف فيها تشيخوف جولته قرب «ألكسندرفوسك»: «طقس هذه الأيام على مايرام، فالسماء صافية والهواء رائق، يشبه إلى حد كبير خريف روسيا الأوروبية. أما الأمسيات فهي رائعة: أستحضر مشاهد الغرب المشتعل بالأحمر القاني، والبحر داكن الزرقة، وبياض القمر الساطع من وراء الجبال. في مثل هذه الأمسيات يطيب لي الخروج في جولات على طول الوادي الممتد من محطة البريد الى قرية نوفو ميخائيلوفكا، فالدرب هنا مستوي، وعلى جانبيه مسار لسكك الحديد وأعمدة التلغراف. كلما ابتعدنا عن ألكسندروفسك، أصبح الوادي ضيقاً وبدت بعض الأشجار كأنها نباتات إستوائية، وتزداد عتمة المكان بفعل التلال المظلمة المنتشرة في جميع الجوانب. من على بعد يمكن رؤية ضوء من حريق في أحد الغابات. فجأة يتبدى لي منظر يفوق الخيال: على منصة صغيرة لمحطة القطار يتكئ سجين على عمود مرتدياً ملابس بيضاء بالكامل».

هكذا يدهشنا تشيخوف كعادته، بتلميحاته ذات المغزى العميق: أمسية جميلة تدعونا للتأمل، ولقطة لسجين وحيد في ملابس بيضاء: هل كان بريئا يلبس كفنه؟

انتفاضة الأقـــــلام

قرأت – متأخّرة طبعاً – في مطلع الأسبوع الماضي مقالا للكاتب البحريني حسن مدن، بدا موضوعه غريبا بالنسبة لي عن "إضراب الكتاب في هوليود" في الأول من شهر مايو الماضي بسبب عدم وجود اتفاق مع الأستوديوهات والمنصّات الرئيسية، خاصة ما يتعلّق بزيادة رواتبهم. والذي جاء بالتوازي مع صعود استعمال تقنيات الذكاء الاصطناعي للكتابة، وهي تقنية تهدّد بشكل مخيف مهنة الكاتب.

د.بروين حبيب

لكن على ما يبدو فالأمر أهمّ من هذه الفرضية، خاصة أن لا فكرة لدي مثل كثيرين عن الإضرابات السابقة للكتّاب، والتي شهدتها هوليود وأشهرها إضراب 2007 – 2008 عندما أضرب أعضاء نقابة الكتّاب الأمريكية (WGA) حيث كان السبب الرئيسي وراء الإضراب الخلاف بين الكُتّاب وتحالف منتجي الصور المتحرّكة والتلفزيون (AMPTP) حول التعويض عن عملهم في المشهد المتغيّر لصناعة الترفيه. سعى الكتّاب للحصول على مدفوعات ومزايا أفضل لعملهم في العصر الرقمي، حيث أثّر ظهور منصّات البث عبر الأنترنت وقنوات توزيع الوسائط الجديدة بشكل كبير على نماذج الإيرادات التقليدية، وناقشوا بوضوح مسألة تعويضهم بالعدالة المناسبة لتزايد خدمات البث عبر الأنترنت وإعادة استخدام أعمالهم على أقراص DVD.

استمرّ وقتها الإضراب مائة يوم، مما تسبب في اضطرابات كبيرة في صناعة الترفيه، أدّى إلى توقف تروس مصانع الأحلام وتعثّر العديد من شركات الإنتاج السينمائي والتلفزيوني، وتأخُّر جداول الإصدار، فتمّ اتفاق حينها مع نقابة الكُتّاب الأمريكيين على عدد من الحلول وتمّ إنهاء الاضراب.

كانت الخسائر التي بلغت في القطاع التابع للوس أنجلوس فقط قد تجاوزت إثنين مليار دولاراً. تكرّر المشهد اليوم، وقد يعتقد البعض أن هذه الحركة الاجتماعية لا تهمُّ سوى نقابة الكتّاب الأمريكيين المعروفة بقوّتها في القتال من أجل تحسين ظروف أعضائها، وأن أوروبا وباقي مناطق العالم بما فيها عالمنا العربي لا تخضع لنفس القواعد، لكن الأمر غير ذلك تماما.

في حوار مع جون كوبلن وبروكس بارنز في النيويورك تاميز قال فيه أنه بإمكان المنصّات أن تشتري أفلاما وبرامج من دول أخرى، وتملأ فراغها، لكن بالنسبة للشركات المنتجة للبرامج التلفزيونية فالصمود لن يكون طويلا. خاصّة البرامج الصباحية والحوارية التي تبث ليلا، وهي أول ما يتأثّر بإضرابات الكُتّاب. والسبب أن هذه البرامج تجاري الأحداث، فيصعب تحضيرها سلفا بفترات طويلة، قد يندهش كثيرون من مقدار مساهمة الكُتّاب في صنع هذه البرامج، ولكن عادة ما تكون ملاحظاتهم ونكاتهم وموضوعاتهم ونصوصهم الفردية هي التي تجعل مقدّمي البرامج ينجحون في اكتساب مشاهديهم.

في عالمنا العربي يختلف تصنيف الكُتّاب، لدرجة أن كُتّاب السيناريو (سينما وتلفزيون) ومعدي البرامج التلفزيونية يعتقدون أنهم ليسوا كتّابا، فيما يصارع مؤلفو القصص والروايات والشعراء مصائرهم المشتركة منفردين أيضا، وكأنّ هذه المهنة على تعدّد ممارسيها لا تجمعهم وفق موهبة خلق الأفكار وصياغتها لغويا قبل أن تتحوّل إلى كتب وأفلام ومسلسلات وبرامج تلفزيونية.

لتقريب الصورة أكثر فقد قرّرت Netfix مثلا أن تبدأ تصوير الموسم الرّابع من مسلسل "إميلي في باريس» بحلول أواخر الصيف أو أوائل الخريف، ولكن إضراب الكُتّاب فرض تأجيلا لمدّة شهرين يمكن تمديدهما اعتمادا على مدة الاضراب، ذلك أن كتابة الحلقات توقفت تماما.

خمس وثلاثون دولة وقف كُتّابها وقفة دعم لنظرائهم في إضراب نقابة الكتاب الأمريكية. نقابات، ومنظمات مجتمعة مثّلت حوالي 67000 كاتب في جميع أنحاء العالم حسّست شركات الإنتاج أنها ليست الأقوى إذا ما استمرّت في رفضها إنصاف كتّابها.

أمّا على مواقع التواصل الاجتماعي فإن أغلب الناشطين ونجوم السينما والإعلام والمؤثرين ساندوا الاضراب. وقد عبّر بعضهم عن سخط كبير ضد "حيتان الإنتاج العملاقة" التي رغم تكدّس ثرواتها بأرقام خرافية إلاّ أنها تعطي كتّابها الفتات.

بعض هذه الشركات فكّرت في حلول لكسر سلسلة المُضربين، فاقترحت أن تنقل بعض كتّابها إلى بلدان أخرى، مع توفير ظروف أفضل للكتابة لإنهاء

أعمالها العالقة، لكنها جوبهت بالرّفض، كون هذا المقترح لا يخرج عن إطار رشوة مؤقتة.

السؤال المهم هنا، هل يمكن لهذه الشركات الجبارة أن تعتمد أو تطوّر من الذكاء الاصطناعي بحيث يمكنها الاستغناء تماما عن الطاقات البشرية؟

لقد حقق الذكاء الاصطناعي تطورات كبيرة في معالجة اللغة وتوليدها، وهو قادر على إنشاء نص متماسك، لكن حسب الخبراء والعارفين في هذا الأمر فإن استبدال الكتّاب البشريين بالكامل يعدُّ موضوعاً معقداً جداً. إذ يمكنه تقديم المسودّات، والعديد من المقترحات حسب نوعية المحتوى، لكن هناك جوانب إبداعية تعتمد كلياً على التجارب البشرية المحضة، مثل نقل المشاعر ووصف ما تلمسه الحواس الخمس بشكل مباشر أو غير مباشر. مبدئياً هذه هي العقبة التي تشكّل التحدي الحقيقي للذكاء الاصطناعي الذي يكرر نفسه بشكل غير مقنع لأنّه يعتمد على البرمجة، فأي نصوص سينتجها الذكاء الاصطناعي في هذه الفترة الحرجة التي تعلن فيها العقول المبدعة التمرّد، مطالبة بحقوقها؟

باختصار، بينما يمكن للذكاء الاصطناعي تعزيز ودعم عملية الكتابة فإنّ الاستبدال الكامل للكُتّاب البشريين في جميع جوانب الكتابة الإبداعية يعدُّ حاليا هدفاً صعباً. ولعلّي وأنا أتصفّح أخبار الإضراب – الذي فاجأني بسبب انشغالاتي – فكّرت في أن الذكاء الاصطناعي كم سيشكّل نهجاً واعداً للكتّاب البشريين، حيث يمكن لأدواته وتقنياته أن تزيد من الإبداع والإنتاجية البشرية بدلاً من السّعي لاستبدال العنصر البشري بالكامل والاستغناء عنه لتوفير بعض "الفتات" الذي ذكرته أعلاه.

لقد تغيّر العالم، وتطوّر بشكل مرعب في ظرف العشر سنوات الأخيرة، أقلُّه إنه أصبح مكشوفاً للعلن، وصادماً بحكم أفكار مسبقة كنا مقتنعين بها لأنّها وصلتنا مغلوطة. مثلا لنكن صرحاء مع أنفسنا وغيرنا، لطالما عاش الكتّاب وراء ستار المعاملة المُرَوّعة التي تحمّلوها، وعاشوا حياة فيها من البؤس والفقر أكثر من لحظات السعادة والطمأنينة والشعور بالأمان في مجتمعاتنا العربية، وكنّا نعتقد طيلة الوقت أن الكتّاب في الغرب خاصة من هم في امبراطورية هوليود يعيشون حياة شبيهة بحياة النجوم، وإن لم تسلّط عليهم نفس الأضواء، لكن اتضح أن الحال واحد وإن اختلفت درجاته.

كيف سيكون مستقبل الكُتّاب وفق هذه المعطيات كلها؟ وهل يمكن أن نصاب بالعدوى ويتغير واقع الكاتب العربي؟ يقول أحد الخبراء أن رواية القصص مهنة لا تنتهي، وإن كانت أدوات إنشاء المحتوى الآلي وخوارزميات معالجة اللغة بمقدورها إنشاء مقالات إخبارية أساسية وتقارير رياضية وملخصات مالية فإنها لن تمتلك الفكر النقدي البشري، بالعكس فالكتّاب في كل العالم يكتسبون يوميا مهارات جديدة للمشاركة بفاعلية مع الجماهير على المساحات الرّقمية. ولأن هذه الجماهير تتطور هي الأخرى وتكتسب عادات استهلاك جديدة بسرعة، فإن الدّماغ البشري المبدع أسرع في فهمها أكثر من الذكاء الاصطناعي الذي يحتاج لبرمجة دائمة. كما أصبح الفنانون البصريون والمصممون وحتى العلماء بحاجة لمحتوى مقنع وفعّال وهذا من اختصاص الكُتّاب بدون منازع.

باختصار قد يخضع مشهد الكتابة لتغييرات كبيرة، لكنّه سيحتاج دوما إلى لمسة بشرية، وستكون المرونة والقدرة على التكيُّف واحتضان التقنيات الجديدة أمراً بالغ الأهمية للكُتّاب لكي يزدهروا.

غير ذلك، وعودة للإضراب، العديد من نقابات الكتّاب الدّوليّين أصدرت إرشادات لأعضائها حول الابتعاد عن الوظائف التي تذهب لمنتجين أمريكان عبر رسالة مفادها: "إذا طرق منتج أمريكي بابك وقال: نحن بحاجة إلى كاتب أوروبي، وكان العرض مغريا للغاية، فإنّنا نوصي برفضه".

لقد أدرك العالم أخيرا أن الكُتّاب هم القاعدة الأساسية لكل أعمال الترفيه، والعنصر الأساسي في كل عمل درامي، وأهميتهم تمتد لتطال اختصاصات أخرى يضيق المقام لذكرها، منها وبدون مبالغة إسقاط رؤساء وإيصال آخرين لسدّة الحكم، وهذا موضوع آخر أتركه للعارفين بخبايا السياسة!.

سؤال الحب

ما الحُب؟ سؤال ما زال يطرحه الفلاسفة والمبدعون عبر القرون، فلعله بلا جواب، أو لعل لكل عصر جوابه الذي لا يكون شافيًا لعصور تالية فيعاودون طرحه. الكاتب العراقي علي حسين يرصد الكثير من تلك الأجوبة في كتابه "سؤال الحب من تولستوي إلى أينشتاين" الصادر عن دار المدى في عام ٢٠١٨، عبر ٣٢٤ صفحة يقدم فيها ثلاثين فصلا يحكي كل منهم قصة عاشق، ساردًا تفاصيل القصة المستقاة من سيرته ومن كتبه، ومن بين ثناياها يستخرج مفهوم صاحب الحكاية للحب، ومبينًا أثر تلك العاطفة في حياة المحب وفي إبداعه.

جلال إبراهيم

حاول "أوفيد" الذي ظهر قبل أكثر من ألف عام أن يُدرك سر الحب، فتوصل إلى أن الحب ليس مجرد زينة الحياة كما وصفه الفيلسوف أبيقور، بل هو الحياة كلها، إذ ليس هناك حياة كاملة من دون حب ومن دون معاناة الحب الدائمة.

الروائي الإنجليزي "تشارلز ديكنز" وصف الحب لحبيبته كاترين، بأنه يتخذ أشكالاً عدة، لكنها في معظم الحالات مطاردة للفرح وسعي محموم نحو أمل يأتي أو لا يأتي».

بينما تقول سيمون دي بوفوار في إحدى حواراتها مع حبيبها الفيلسوف الوجودي سارتر: الحب الذي تُريد أن تُبشّر بهِ هو اختلاف، ثم افـتراق، ثم التقاء، ثم شكوك، والشك يُحيي العشق. لابد أن يتعذب العاشق وأن يشك وأن يعود إلى محبوبه ليتأكد أنه يحبه حقًا، وهذا خير من أن نستسلم للوهم بأننا نحب.

تُشير سيرة غابريال ماركيز تأثره الشديد بعبارة للأديب الإنجليزي الشهير شكسبير، مفادها أن "الحب وحده، وبقوته الجبارة يمكنه مجابهة الزمن". إذ كان شكسبير يتحدث عن قوة الحب تلك القوة التي لا تتغلب عليها أية صراعات وجودية.

وفي كتابه "الطاقة الروحية" يحدد هنري برجسون الحـب في أمـريـن أساسيين، هما: الجاذبية الجنسية، والتوافق الروحي وبدونهما لا يقوم حب. بينما يُقسّم نجيب محفوظ الحب إلى أربعة نماذج "الحب الشهوة، الحب الشوق، الحب الجسدي، الحب الزهو. وهذا التقسيم قريب من التصنيف الذي وضعه الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون الذي كان نجيب محفوظ معجبًا به أشد الإعجاب.

يكتب أريـك فـروم في كتابه الشهير "فن الحب"، أن "ستندال" أراد في كتبه عن الحب، أن نحب من دون أن نعرف كيف نحب، إنه يقدم لنا عاطفة مُربكة إلى أقصى مدى من خلال رواياته التي دائمًا ما تطرح الحب جانبًا بوصفه شيئًا يحدث لنا بتأثير سلبي ومصادفة، شيئًا نقع في شباكه، يُصيبنا كسهم، وليس ممارسة بارعة نُنميها بمهارة دقيقة كأية حرفة تتطلب تفوقًا إنسانيًا.

ذات مرة، كتب طه حسين إلى زوجته سوزان يقول: "بدونكِ أشعر أني أعمى حقًا. أما وأنا معكِ، فإني أتوصل إلى الشعور بكل شيء، وإني أمتزج بكل الأشياء التي تُحيط بي". وعندما رحل هو عن العالم، كتبت هي تقول: "ذراعي لن تُمسك بذراعكَ أبدًا، ويداي تبدوان لي بلا فائدة بشكل محزن».

من طرائف قصص الحب، أن زوجة أينشتان ميليفيا طبقت سياسة الرقابة الدقيقة والمُحكمة مع زوجها لكي يتوقف عن حكايات غرامه. وبينما كان أينشتاين حاضرًا في إحدى محاظرات أصدقائه، وبينما كان الصديق يشرح نظريته للحضور، كان أينشتاين يركز بصره على فتاة جميلة مما أثار ضيق صديقه عالم النفس الذي التفت إلى أينشتاين ليقول له: "يا سيدي البروفيسور إذا كنت في حالة حب، فسوف نعتقد أن الحب أهم من نظريات الكمية". فرد عليه أينشتاين: "يا سيدي أن نظرياتي الكمية ترتبط ارتباطًا مباشرًا بجمال المرأة».

تُثبت القصص العديدة التي طرحها علي حسين في كتابهِ الشيق "سؤال الحب" أن الحب لم يكن حالة عَرضية في حياة أدباء وفنانين وفلاسفة كبار، لكنه كان نقطة الدخول إلى عالم من الإبداع، وهروب من الوحدة، للبحث عن ملاذ آمن، يمدنا بالثقة والطمأنينة بأننا لا نواجه العالم بمفردنا.

طاقة السلطة والهامش

عناق أي شخصين في الحياة، وفي خيالات الكتاب والفنانين، تأخذ طرقاً مختلفة ومتعددة، ولو أمكن عدّها، فلن يستطيع أحد وصف دواخلها: عناق المحبة، وعناق الواجب، وعناق العتب، وعناق الشوق؛ وربما لو أوجدنا مسمى مغايراً، وهذا يكون حين تتشكل الأجساد لتزيل أي أثر للفراغ بين الطرفين، فغالباً سيكون عناقً نطلق عليه التكامل.

والعناق في استهلال عرض مسرحية السيد والعبد يأخذ شكلاً شبيهاً بهذا التكامل؛ حيث يظهر الممثلان في التحام يشبه علامة «يين ويانغ» في رمزيتها للحياة؛ حيث التشابك اللا نهائي، والمصير المتعلق ببعضهما حتماً من خلال اللونين الأسود والأبيض المتضادين، في كل منهما نقطة بلون الآخر، تؤكد هذا التماسّ المحتوم، وفي الثقافة الصينية تشير إلى أن الدائرة الخارجية تمثل «كل شيء»، وفي داخلها التقاطع بين الطاقتين المتضادتين اللتين تتواجدان في الحياة، ولا يمكن لوجود أحد اللونين أن يمحو الآخر؛ إذ لا بد أن يكون في حاجته في وقت ما.

زهراء المنصور

لكن السيد والعبد هنا يرتديان اللون المحايد نفسه، بالهيئة نفسها؛ فهما ملتحمان كقطعة واحدة قسمت لاحقاً، حتى أنه لم يفرق بينهما باللون على سبيل العنصرية أو التمييز، ولم يأتِ بعرقين مختلفين حتى يميز المتلقي بشكل مباشر، بل احتاج الأمر لوقت تقسيم الأدوار، وبدا أن اختيارهما جاء قدرياً، ولم يخطط له أحدهما. لكن ما إن عُرف السيد وعُرف العبد، حتى تغيرت النبرة، واستلم كل منهما مكانه بتلقائية، وبدأت رحلتهما: قرار وتعزيز، أو قرار وتعزيز أيضاً! فحينما ينطق السيد، يؤيده العبد، ويبدي محاسن ما يقوله؛ وحين يعيد نفس الجملة بشكل عكسي، يبرر له العبد رأيه. وهذا الحياد الشكلي، وتعزيز التوافق، يحيل المتلقي إلى علاقات أبعد من السيد والعبد؛ إلى ثنائيات –وربما أكثر– بين حبيبين، أو زوجين، أو صديقين بين مجموعة من الجيران، أو داخل منظومة عمل، أو رب أسرة وعائلته، أو ربما عبرت هذه العلاقة مباشرة في شكل العبودية الجديد المتمثل في نظام الكفيل والمكفول الذي يبقى تحت إمرة وشروط الأول!

هذا النص المستل من مخطوطات منذ الحضارة الأكادية، التي كانت أول إمبراطورية قديمة في بلاد ما بين النهرين، حدد سيكولوجية العبد والسيد؛ كيف يوجد السيد؟ وبناء على ماذا يكون سيداً؟ ولمن؟ وإلى متى؟ و كيف يولد العبد؟ وكيف تكيّفه بيئته أن يكون تابعاً لا صوت له، إلا صدى سيده؟ وهل يمكن أن تتبدل الأدوار بينهما، ولو بشكل مؤقت؟ وكل الأسئلة التي تخطر بالبال حول اختيار هذا النص غير المسرحي بالأصل، واستنطاقه بهذه الصورة، التي تفضح مكنون نوعين موجودين بيننا، قد نكون أحدهما ببساطة! وحين تختبر الحياةُ المرءَ، عبر توريطه في قوالب القوة والضعف؛ فلا تنسلّ منها إلا استثناءات معنية بالوعي وبالاتزان النفسي. أما في وضعها العادي، فيكون من «الطبيعي» أن تكون العلاقة سيداً وعبداً بالمعنى القاسي والحرفي.

ولم يسعَ العرض إلى تحديد صيغة مكانية أو زمانية لهذا العلاقة الثنائية والأزلية أيضاً، رغم الإشارة العمومية إلى مصدر النص؛ بل عمل على تعميمها عبر تعميق الدلالات المختلفة التي تشوش على المتلقي: عن أي سيد وعبد يتحدثون؟ من دقة جرس الكنيسة، أو الآذان، أو الموسيقى البوذية، إلى إنشاد صوفي، وغناء، وشعر، ونثر، وحشوات متعددة تلوح هنا وهناك، في تداخل الثقافات المختلفة وتشابكها أيضاً؛ في التأكيد على تناسخ الصفات البشرية في كل الحضارات بفكرة الخادم والمخدوم بتعدد صورها أيضاً.

العرض الذي بدأ بتلاحم على طاولة مرتفعة جانبية في مكان العرض، بدأت الحركة فيه بعد انعتاق بطيء نسبياً من بعضهما؛ وتعرف أحدهما على الآخر، ثم الاستواء على موقعهما الطبقي، وكل القرارات والتعزيزات التي تملأ الحوار–والمذكورة بشكل رتيب في ذاك النص القديم–، لكن الإخراج أبرزها بشكل مشوِّق، كان فيه الانتقال من حالة إلى أخرى وكأنَّ المتلقي ينتقل عبر أوقات وعصور ومجتمعات مختلفة؛ منذ استخدام العبد مكان الدابة لجر عربة السيد، ولغاية أضواء صالات الملاهي الليلية التي تحتفظ بعلاقة العبيد والسادة بهيئة مغايرة، وربما متوارية، يبين فيها قدم علاقة هذا الثنائي وتكراره بشكل يوحي أنه لا يتطور، بل يتجدد الشكل حسب المكان والزمان، وحسب تشكل السلطة والهامش، وهذه الأخيرة لا معايير ثابتة لها؛ حيث المتغيرات التي تقلب القوة إلى ضعف، والعكس، تتغير مع الوقت. فأسياد اليوم يمكن أن يتحولوا إلى عبيد حين يحكم المال والغذاء الأفراد؛ فتتحدد المواقع. وكم من بلدان وكيانات صدّرت للعالم ثروات مادية وبشرية وثقافية، ثم بقيت هي على هامش الحياة، وانحسر وهجها؛ إن نطقت فيكون لاستجداء القوة، أو التغني بالماضي الذي لم يعد!

وانتقل العرض، بكل ما فيه من عناصر، وحتى الجمهور، إلى الخشبة؛ حيث توسط الممثلان العرض، وأغلقت الستارة على الجميع بالداخل حين اصطف الجمهور في صفين متوازيين أمامه، ومن الطاولة الجانبية في المكان، حتى التحول الذي تتالى لاحقاً حتى يملأ كل الفراغ؛ ينتقل إليه الممثلان حسب المراحل والحالات التي يمران بها، ودون الالتزام بالنص الأصلي حرفياً، حيث قدم هذا في دهشة بصرية تحسب للعرض، مراحل تتقدم بصرياً مقارنة بنص مكرر يحتاج فعلاً إلى هذه القوة المرئية الجاذبة للتمكن من قراءة العمل، وتكملة مفهوم «الين واليانغ» اللذين يكملان بعضهما طول الوقت، ولا يمكن أن يتواجد أحدهما دون الآخر، في التتابع الذي حصل بامتداد الطاولة على طول مساحة المكان المخصص للعرض.

وحتى لا يبدو أن القوة مصطفة مع السيد في كل الأوقات، ويبقى العبد تابعاً ومهمشاً طول الوقت؛ قارب العرض هذه الفكرة عند موت العبد، وانحسار أو تقلص سيطرة الآخر الذي تحول إلى جزء من صفات فقيده؛ النحيب، والحزن، والرغبة في إحيائه من جديد، ولو كان عبر الافتداء والنذور، ليست لحب السيد في خادمه، أو الخوف من خسارته، بقدر ما هو الخوف من فقدان هيبته ومكانته. فمَن غير العبد يقدر على تهيئة المكانة المستحقة، وفرض سلطته على الآخرين غيره؟ وهكذا تستمر الثنائيات التي تكمل بعضها؛ فلا يغلب «الـين»، ولا يسيطر «اليانغ»، والحياة لا تستمر إلا بهما معاً على نفس الخط، مهما أوحت المسائل أن السيد هو الأهم بحكم مكانته، لكنه الظلام والسكون، والأسفل والبارد، والانكماش والضعف، أو النور والنشاط، والأعلى والساخن المتمدد، والقوة أو العكس حسب الحالة، وحسب ما تشير إليه هذه الفلسفة الصينية.

وقد يثير تقديم معظم العرض على تلك الطاولة الممتدة، ذات الاستخدامات والصور المتعددة، شكلاً من الاستعراض البصري؛ خدمةً للفرجة، وهذه وجهة نظر إخراجية مقدرة طالما أنها تسمح بتغيير الحركة، وتحيد عن أي رتابة قد تنجم عن ديو الممثلين؛ لكن الصورة الأعمق لهذا الشكل هو مستوى الرؤية الذي جعل من عين المشاهد ما يُطلق عليه سينمائياً «الزاوية المنخفضة» low angle shot التي تتيح الفرجة من الأسفل؛ حيث الجمهور إلى أعلى مكان حركة الممثلين، وبهذا تعطي إيحاء بأهمية مضاعفة، وسيطرة فكرة العرض على المتلقين في الصفين؛ عن ما لو كان الأداء على الخشبة، وفي مستوى الأرض، وتحديداً في المكان المحدود المخصص لهما.

وبرغم كل البهرجة الممتعة التي قدمت في السيد والعبد، لكن أداء الممثلين تفوق على بقية العناصر التي بدت مصاحبة لهذا الشحن الإبداعي. فعلى سبيل التراكم، أبدع صالح الدرازي في الدور الوحيد –الذي شاهدته له مسبقاً– بعرض مسرحية "حيدر"، وكان يبدو قادراً على قراءة الشخصية المعقدة هناك

كما بدا هنا مع شريكه أحمد سعيد، هذا المشحون بموهبة ملحوظة منذ ظهوره الأول، وحتى تألقه درامياً في أعمال مسرحية وتلفزيونية خليجية بشخصيات غير نمطية. وقد أعطته مسرحية "السيد والعبد" مساحة مناسبة لإثبات جدارته التمثيلية، والقدرة على استخدام الجسد، والصوت، وتعابير الوجه، وكل الانفعالات لعبد مقهور يتقن جميع الألعاب التي تعبر عن مكنونه وهو ينفذ ما يؤمر به.

وقد يكون في رصيد المخرج خالد الرويعي أعمال مسرحية كثيرة متراوحة في تقديمها بين الفكرة، وصنع الشكل في السينوغرافيا التي يعطي لها المخرج اهتماماً كبيرة وأولوية؛ لكن هذه أكثر المرات التي استخدم فيها مهارته، بدءاً من رؤية إخراجية مستنطقة من نص غير مسرحي وجد في عصر قديم، حتى استخدم في مجالات الأدب لاحقاً. وقد تبدو المسألة سهلة بالنسبة لبعض المخرجين الذين يروون استسهالاً في تركيب اللوحات المستوحاة من طبيعة النص التي لا توصيف فيها سوى الحوارات المتكررة والثابتة نسبياً، خصوصاً عند مقارنة بعض الأجزاء من أعمال فنية مشاهدة حية، أو عبر الوسائط المتعددة التي تتيح الاطلاع بسهولة على هكذا مسائل، إن حصل هذا فليكن؛ هذه الصور ليست مجردة، لذلك فإن تركيبها يحتاج إلى مهارة وقراءة واعية؛ والنقل أو الاقتباس، حتى لو كان جمالياً، فإنه سيسقط في تأويل المعنى.

لا تنتهي قصة السيد والعبد بانتهاء هذا العرض؛ وانتهائهما لنفس المصير ذي الشكل المفتوح، ذلك أنهما مربوطان بالثنائية الحية التي لا تنتهي: أيها الخادم؛ أصغِ لما أقول، وأطِعني.. فيأتي الرد تلقائياً مبرمجاً: سمعاً وطاعَة سيدي.

في جمعية فتاة الريف

مناقشة لرواية «بلا وجه» لنادية الملاح

كتبت نعيمة السمّاك

نظمت لجنة قضايا المرأة بجمعية فتاة الريف أمسية أدبية بعنوان (قراءة في رواية «بلا وجه»)، للكاتبة والشاعرة نادية الملاح، التي صدرت العام 2020 عن دار الفراشة للنشر والتوزيع، وتقع في 143 صفحة من الحجم المتوسط وتحتوي على عشرة فصول .

قدّم للأمسية عضوتا الجمعية نعيمة السماك وغادة المرزوق، وأقيمت في مقر نادي الشباب بجدحفص، وحضرها لفيف من الأدباء والمهتمين بالشأن الثقافي واعقبتها العديد من المداخلات والأسئلة التي وجهت للكاتبة نادية الملاح، وفي البداية نوهت نعيمة السماك الى أهمية أن تقوم الجمعيات النسائية بنشاط أدبي ثقافي، وخاصة فيما يخص إبداعات المرأة البحرينية . إذ أن المجال الإبداعي لا يقل أهمية عن أي مجال آخر من قضايا المرأة الأساسية.

ومن ثم استعرضت بإيجاز محتوى الفصول العشرة التي تضمنتها الرواية، مركزة على نقطة تماهي الكاتبة بين الحدث العام والحدث الخاص وتماهي أحزان الوطن بأحزان الكاتبة، وحيث أننا جزء لا يتجزأ من احزان هذا الوطن. لذلك أحدثت حادثة نفق المعصيم الواقعة في العام 1990 شرخا كبيرا في ذاكرة وروح الكاتبة:: (بالرغم أن طوله لم يكن شئيا يذكر قياسا بنفق الحجيج ، الا ان النفق بقي منحوتا في ذاكرتي صورة للموت). كذلك حادثة الطائرة المنكوبة التي تغرق في البحر، فيبتلع الأحبة في قلبه. وصدمتها في ذلك البحر الذي تحبه وتقضي ساعات الغروب تتأمله. ولم تتصوره يوماً أن يكون جائعا غاضباً: (أمام البحر يحتضنني رمل الشاطيء الدافيء. أتأمله هذا الغريب العميق. الذي يجتث من نفسي سقمها مع كل موجه. صرت كثيراً ما أمازج بين زرقته وزرقة الشرفة التي كثيراً ما جمعت بيني وبين ماهر. كنت ألجأ إلى البحر كلما ضاقت نفسي واستمتع بمنظر الغروب. أما الآن فصرت أقصده لأتأمل توحشه المستتر خلف هذه الهدأة. وفي فصل تواطىء الحلم مع الشمس).

تكشف الملاح عن مقدار الصدمة في قوانين وأعراف المجتمع، الذي يظهر شيئاً ويتصرف بشكل آخر مغاير جداً مما يتصنع به: (أمام كل الوجوه كنت أبحث عن وجه حقيقي، لا يلامسه الزيف بالألوان والتقبيح. كان هو يتوسط شبيهين له ومسمار الشرع يثبتهم على أخشاب كراسي أكثر أنسنه منهم. وتلك العمامة المطرقة التي يدكون بها أقدارنا. انا ومن يشبهني في هذا المجتمع السقيم الذي يتلاعب بمصيره هذا المتشدق بالدين وأمثاله).

وفي بوصلة تكشف الكاتبة عن معاناة المرأة ىالتي تتعرض للعنف الأسري من قبل الرجل أو الزوج: (غادرت المستشفى والجرح لا يجبره شيء. وحين استبدت الأوجاع بالنساء في قريتنا صرن أكثر قدرة على متابعة حقوقهن داخل القرية. أكره جسدي كلما تذكرت ذلك العجوز الوقح . مد يده تحت ملابسي . شعرت بأصابعه اللعينة بين فخذي حاولت الصراخ فلم استطع).

الغرب، القرية الغربية، والجهة الغربية هي جهد الفقد، جهة غربة الروح واللذين يذهبون إليها لا يعودون كما هم أو لا يعودون أبداً. أعتدنا أن الغرب غياب وكل من يتوجه نحوه لا يعود هو هو ، وقد لا يعود.

(يا ابنتي: هؤلاء يقصدون مكة المكرمة . يسافرون الى الغرب. وفي فصل فوق الرمل يدفنون. سأصطحبه بكرسيه المتحرك الى حفل التكريم. لأهديه نجاحي، لأمنحه أن يفتخر بأبنته العنيدة المتمردة، التي قد تتمرد على الكون بأسره . لكنها لا تعاند في حبه والامتنان له. لم يتلاش صوته من ذاكرتي. صار سور المقبرة الغربي ملاذي، كأن القدر يأبى الا يذكرني بغدر هذه الجهة الملعونة. لم يسافر ابي الى الغرب، ولم تبتلعه وساوسه. لكنه بات في ثوبه الأبيض بمحاذاة السور الغربي).

فهـلا عـدتَ يـا أحمـد *

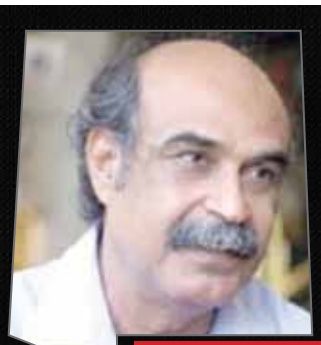

قاسم حداد

فهلا عدت يا أحمد
بقايا من حديث النفس فوق السيف لم تكمل
وأشعاراً غزلتَ بها ثيابَ الناس لم تكمل
مشاوير مشينا بعضها عمراً
تركت الأرض والمشوار لم يكمل
وأحلام بنينا دارنا فيها،
بنيتَ الحلم والأسوار لم تكمل
إليك إليك يا أحمد
أقول بكل ما في الشعر من قوة
ستبقى ما بقى حرفي
ستبقى نار أشعاري
تحز خرافة الخوف
ستبقى في الدم الواري
عظيم الموت والمولد

* من قصيدة «رسالة إلى المنفى» – من ديوان «البشارة»

حـافـةُ الشّـــوق

فاطمة محسن

كأني أراكَ
من الشّوقِ تغمزُ تفاحتينِ
وتُسْكرُني
وتَغْزِلُ سَجادتينِ من القَلْبِ
تَرْفَعُ قامتَنا نخلتين.

كأني على حافةِ الشّوقِ أهوي
يُطوّقُني ساعدان
وأغفُو..
فتنبض في وردِ روحي سماء.

كأن جدارَ هواكَ تعانقُه نجمتان
ويغفلُ
يغمرُني الضوءُ
تدخلني شفّتان

تَعَللتُ بالبَوْحِ
وانسلَ من جسدي شُرفتان
وكانَ الجلِيْدُ وشيكا
وفي غرفتي سكَنَ الخَوْفُ
عَرْبَدَ في نَفَقٍ من دخان
رأيتكَ تبعثُ قلبي رسولا
وتبحثُ عن آيةٍ
قِبْلَتين.
تُصَادِرُ رائحةَ الشّوقِ مني
وتَذْبَلُ في داخلي ورْدتان

رأيتكَ تسقى السماءَ يماما
تعللُ أحزانَها
حين يشهقُ ماءُ السماءِ حزينا
فأندسُّ فيكَ
وألثمُ عِطرَكَ لحنا يتيما.

أسافرُ فيكَ
قطاراً من الشّوق يملأُ عيني
حملتُ الجنينَ
ورحتُ أجرُ الهواجِسَ نحْوَكَ
رحتُ أزفُ الأغاني
قرأتكَ فنجانَ قلبي
فكانَ لَهِيْباً
وكنت الصّقِيْعَ.

تبعتُ هواكَ كمنذورةٍ للجنون
يُفَاجِئُني البَرْدُ
فاجأني البَرْدُ
واحتارَ فيّ اللهيب.

التقدمي

التقدمي العدد 189 ـ أغسطس 2023 السنة 21 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

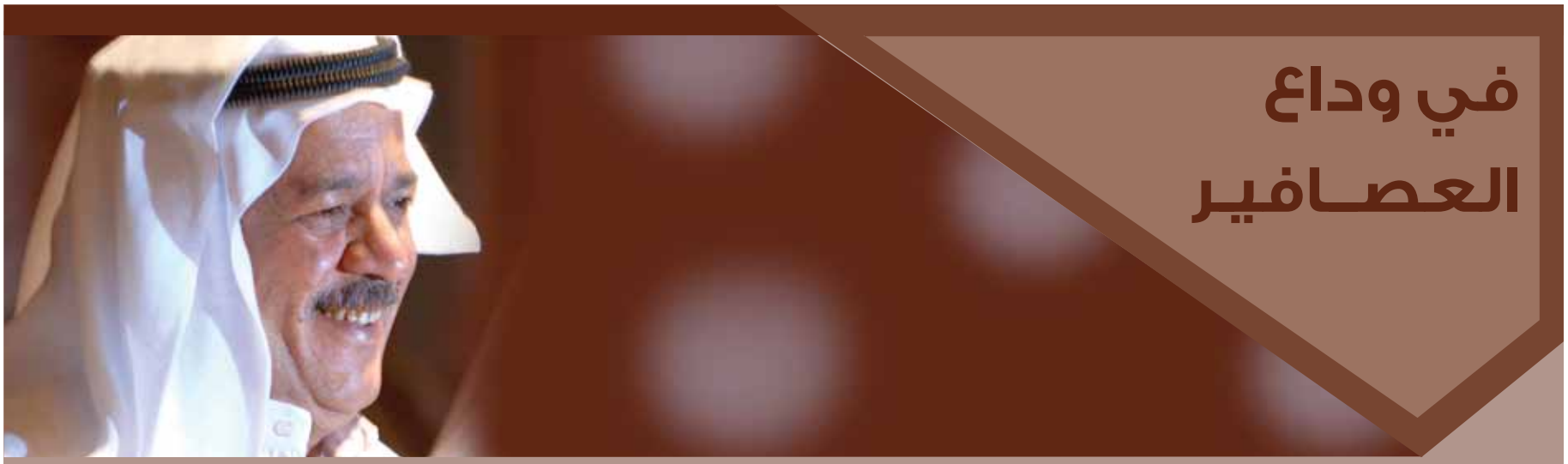

في وداع العصافير

عبدالحميد القائد

(1)
تُغادِرُ عَنَّا وطيفُكَ لا يُغادر
رَذاذُ الشَمسِ أنتَ
أنتَ لنا
لستَ سِوى مُسَافر

(2)
تغادرُ
لا يغادرُ وجهُكَ البلادَ
التي اصطليتَ في عِشقها
لا يغادرُ حرفُك زَبَدَ البَحر
التي همتَ في بياضِها
تَحَوّلَ قلبُكَ إلى بَياضِ الأنبياء
لأنك الفضاءُ كلُّه
أنتَ كل حُروف الهَجَاء

(3)
تعانقُ أرضَكَ الآنَ مؤثثًا بالشُعاع
رَهيفٌ جَسَدُك لا يُغادِر
فَوَجهُك مثلُ رَذاذِ الفَجْرِ البَاهِر
هذه الأرضُ مَهرَجانُك الأبدِيُّ

تَزفُّكَ قمرًا في الريح
فأنتَ للكَادحين حُلمٌ عَاطِر

(4)
في سَحَناتكَ السَمراءُ كنّا حَيارَى
ففي وجهكَ رأيتُ جيفارا
يا جيفارا هذا الوطنُ المعشوقُ
يا عاشقا يَتَثَنَّى في أناشيدِ الحريةِ
وجهُكَ نُجُومٌ تَتَلألأُ
فوقَ ذَرَّات الغُبارِ المُستَهامَةِ

وأنتَ تغادرُ المكانَ ولا تغادر
فأنتَ في الذاكرةِ مَوجٌ هادِر

(5)
تَرجَّلت أيُّها الوَفيُ ولم تترجَّل
مِن صَهوتِك فارسًا عنيدًا
حصانُكَ ما زال يَعدو
نحو المدنِ التي تَرسِمُ الشمسَ خُبزًا
تركتَ اسمكَ في الجرائدِ
خَبَرًا أحرقَ أفئدةَ العصافير
في هذا الزمنِ الغادر
ووجهكَ ما زال يحاور
طرقاتكَ القديمةَ الجديدةَ
وَيَظَلُّ وجهُك في الذاكرةِ
وجهًا ثائر

(6)
وتُغادر .....
يُغادرُ كلُّ شيءٍ
وحُلمُكَ لا يُغادر

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com